عدنان و نور

كتابة : فاكر باب الله

بسم اللّه الرحمن الرحيم

لمحة صغيرة عن الكتاب :

هذا الكتاب كما يحلو أن يسميه الكاتب بالكتاب، فلكم الحرية بأن تسموه رواية أو قصة أي كان فكل ما أتمنى لكم هو قراءة ممتعة و أدعوكم بالتركيز في معانيه جيدا فأنا متأكد من أنه يحمل الكثير من الأسرار المخفية و الألغاز التي قد تبدو غامضة في ظاهرها لكن بمجرد الابحار جيدا في باطنها فأعدكم أنكم ستتمكنون من فهمها باذن الله و أصلا هذا الكتاب لا يحمل أي كلام صعب فكل الكلمات بسيطة و مفهومة.

الكتاب عبارة عن قصة حب عن بعد بين عدنان و نور، لكن هذه القصة لا تركز فقط عن الحب بل تطرح مواضيع مختلفة.

القصة عبارة عن ثلاث أجزاء مختلفة. في كل نهاية جزء توجد أسئلة.

الأحداث، الشخصيات و الأماكن من وحي الخيال.

كل الصور المستخدمة في الرواية تم تصميمها بالذكاء الاصطناعي.

<u>ملاحظة</u> :

رجاء من أراد أخذ عبارات أو جمل معينة من الكتاب لا بد من ذكر اسم الكتاب و الكاتب لضمان حفظ حقوق المؤلف و شكرا.

قراءة ممتعة للجميع

الكاتب :

فاكر باب الله من تونس بالتحديد من ولاية قابس. ولد في العشرين من جمادى الآخرة سنة احدى و عشرين و أربعمائة و ألف للهجرة الموافق للثامن عشر من شهر سبتمبر عام ألفين ميلادي، بمدينة جرجيس. درس الآداب في معهد الظويهر ليتحصل على شهادة الباكالوريا في عام تسعة عشر و ألفين قبل أن يلتحق بجامعة اللغات الواقعة بمدينة قابس ليتحصل على الاجازة في اللغة الإيطالية في عام اثنان و عشرين و ألفين.

بدأ فاكر الكتابة في سن السادس العشر حيث كان يكتب القصائد و الخواطر ليصل لمائة و واحد قصيدة آخرها بعنوان " العودة " من ثم انتقل لكتابة الكتب القصيرة و هو نوعه المفضل حيث كان يقول دوما : "*لنكن منطقيين فمن الصعب أن نجد اليوم شاب يقرأ كتاب بخمسمائة صفحة فالأمر قد يبدو صعبا طبعا يوجد استثناء فلا بد بأن أتماشى مع عصري و أبدع بالكتابات القصيرة* ". حيث قام بنشر خمس كتب أربعة منها باللغة العربية و هي : المتأمل، العالم الأزرق، ساي المغامر و لعبة الزمن. أما الكتاب الخامس باللغة الانجليزية فكان بعنوان " مملكة قلبي ". هذا بالاضافة لكتابته لمقولات أشهرها : "*رآني العدو بالقرب قرابة فلما قربت شعرت بنفسي بعيد* ". لم يكتفي ابن قابس بهذا فقط بل و انتقل الى عالم الموسيقى أيضا حيث كتب أكثر من أربعين أغنية بأنماط مختلفة حيث نشر عبر قناته باليوتيوب ألبومين، الأول يحمل أغاني بالعربية الفصحى أشهرها : لا لليأس، الصداقة و السعادة. أما الألبوم الثاني فكان يحمل أغاني باللهجة التونسية. فاكر مغرم كثيرا بالأفلام و المسلسلات الأجنبية فهو من معجبي ستوديوهات مارفل و أبطالها الخارقين.

الفهرس :

الجزء الأول :

- عدنان
- نور
- عدنان بين الحقيقة و الوهم
- نور و الدراسة
- قصف الجبهات
- لست مزاجية
- المكالمة (1)
- الأسئلة

الجزء الثاني :

- الحرب ضد العنصرية
- الحلم المظلم
- ما وراء القضبان

- العيب في العقول
- المكالمة (2)
- الأسئلة

الجزء الثالث :

- رفيق الروح
- الأم الصالحة
- بين السماء و الأرض
- طال الانتظار
- اللقاء
- الأسئلة

الجزء الأول

عدنان

... و نظرت فوقي فهي بالسماء ترحب بي و الشمس تشيع لي و الغيوم الطفيفة تبستم لي و أدركت حينها أن هذه الروح تستحق بأن تكون في مكان أفضل، نعم لعلي الآن جائع فالمكان الذي يناسبني هو المطعم في هذه اللحظة. توجهت مسرعا نحو تلك الزقاق حيث رائحة اللحم تعلو و التقت بألحان العصافير فوقا و حدث بينهما حوار الجوع، نعم انها ألحان عصافير بطني أصبحت تصدر ألحانا لعلي ظلمتها المسكينة، لا بد من أنها تود أن تكون في أركسترا أمام مئة ألف مشاهد يعزفون على البيانو، الكامنجة. ها قد جاء أخيرا طبق اللحم الذي طلبته، اني أحيانا أقول كم أننا قاسيون بأن نأكل لحوم الحيوانات، في الأصل دوما ما أفكر و أقول ما الفائدة من الأكل ما دمنا سنأكل مرة أخرى، لماذا لا نأكل وجبة واحدة في اليوم عنذ الليل و قبل النوم لكن أكيد الجوع سيكون أقوى و الجوع عذاب و عذاب النفس حرام. حسنا لقد أنهيت أكلي فيمكنني أن أقدم نفسي اللآن، أنا عدنان ابن الأنان ابن روان ابن ريان لقبت بالجبان لكني لطالما أسكتهم بالرهان، أعشق الرمان من زمان و أعشق التجوال من مكان لمكان، عزفت فن الرنان و ما أنا بفنان الا أنني الآن أتذوق الألحان كأني ملك يقف شامخا ماسكا صولجان، آن الأوان بأن.. فقاطعني عيسى قائلا:" يا عدنان كفاك شعرا و هيا لنذهب لنتجول." لقد نسيت نفسي تماما و بقيت أبالغ بكلماتي المتواضعة.

عيسى هو صديق لي من الطفولة فهو رفيق الدرب و الشقيق في زمن انقطاع الصداقة، ذهبنا معا نتجول في الطرقات الواسعة لا سيم عشقت الشساعة فأحيانا تجعلني أغرق و المكان الضيق يجعلني أتنفس، نعم ربما هذا ما يسمى بالتناقض بين نفسي.

أتعرف يا عيسى لم أشعر بالوحدة عندما كنت وحدي بل شعرت بها عندما خالطت البشر، لم اشعر بالحزن عندما انكسر قلبي بل شعرت بها عندما اكثرت من الضحك. لم ابتسم أبدا

عندما رأيت نفسي في قمة عطائي بل ابتسمت عندما لم يلتفت الي أحد. لا تستغرب من كلامي، فأنا الآن اواجه نفسي بنفسي، لأن شخصيتي لم تعد تتحمل سكوت الأموات الأحياء بجانبي، و هم لا يصدرون اصواتا تزعجني، أنا أريد هذا الانزعاج، اريد أن اغضب أريد ان أشعر أني موجود، ألمس هذا العام الملموس بيدي، أريد من الخيبات ان تصفعني و من الأمل ان يجذبني، لأن في هذه الوضعية أشعر و كأني شبح يمر بين الجدران ليلا من أجل التجسس على أسرار لا فائدة منها. في لحظات ما كنت أرغب في ركوب الأمواج لكن ليس بأن استمتع بها بل لأني اريد كسر مجهودها، و أشعر حقا أني فعلت أمرا غريبا في هذا العالم. أنا و الغرابة ربما اخوة نتقاسم نفس الصفات، هي منها البشر يرهب و أنا مني البشر تقطع العادات، أنا انسان غريب في عالم الارواح، و الغرابة انسان الخجل و الهروب افضل سلاح. لكن في لحظات معينة من هذا التاريخ، التاريخ الذي اكتبه بيدي ليدون في الكتب، لا بد من أن أودع الصفات التي قمت باستضافتها في وقت من الوقت، لتكون ضيفا على محركي[1]، و تكون رفقية أفكاري، حان وقت الوداع مع أني اكره هذه اللحظات لكن لا بد أن اتخلص من كل الثقوب التي يتسرب منها الهواء فتبعثر رحلتي. و لكن عن أي رحلة أتحدث، فأنا اود ان ابقى ساكنا هنا في مكاني لا افعل شيء، لا أود ان اغرس ابواب الأمل بمسامير العزيمة و الاصرار، فقط أريد ان ابقى عالقا في غرف اليأس حيث لا أحد يقترب مني. لكني ايضا أود ان اخرج الى الهواء الطلق حيث أطير مع العصافير و ألعب مع الثعالب، لكن الثعالب لن تقبل اللعب معي لأني لا اقبل بأن اكون خبيثا مثلهم.

و ها أنا ذا ظللت حبيسا لغرفتي و لما طرقوا باب العقل، أجابهم بالرفض و عندما سألوا عن السبب أجابهم بأن صاحب العقل مات، كيف مات و العقل مازال شغال،؟ مازال ينقش على حجيرات الواقع، مازال يرسم على أوراق الخيال، مازال يلمع كالنجم في ليالي الشتاء الباردة، مازال يغني للزمان عن الجمال و مازال ثابتا يسأل عن الأحوال.
ماذا بعد فإن صاحب العقل مازال حائرا، لكن هذه الحيرة لا بد أنها تجدي نفعا، لأن من خلال الحيرة استطعت أن أتعرف على شخصية المتناقض الكامنة في نفسي.

- يا عدنان أمازالت هذه الحالة تلاحقك؟
- اااه يا عيسى انها تحظر في أي مكان حتى لو كنت ساقطا من أعلى جبال الهمالايا
- هل مازلت تتابعه؟
- نعم، فهذه الكلمات التي قلتها هي كلماته لكنني وجدتها تتطابق معي تماما فلهذا كانت و كأنها تتحدث عني.
- فهمتك، أنت حقا معجب به، لكن حاليا خطر ببالي سؤال.
- ماهو؟
- ما السعادة بالنسبة لك؟
- السعادة (و أنا أبتسم) أنا اشتريت بسكويت، هو اشترى منزلا، أنت اشتريت خبزا و هي اشترت المثلجات. السعادة أحيانا تكمن في انتظار الماء الذي انقطع عليك من دون سبب، فتسعد بمجرد عودته. ما السعادة؟ هي شاهدت مسرحية "*وفاة البائع المتجول*[2]" و أنا شاهدت فيلما. السعادة، أنا و أنت، هو و هي نذكر الله، نصلي على

[1] المقصود به العقل
[2] مسرحية لآرثر ميلر

حبيبنا و سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم. في هذا الغرض يقول الشيخ القرضاوي" :*السعادة هي جنة الأحلام التي ينشدها كل البشر؛ من الفيلسوف في قمة تفكيره وتجريده، إلى العامي في قاع سذاجته وبساطته، ومن الملك في قصره المشيد إلى الصعلوك في كوخه الصغير، ولا نحسب أحدًا يبحث عن الشقاء لنفسه، أو يرضى بتعاستها*[3]"

فسمعنا أحد المتجولين و توقف و قال :

- ما دخل الدين في السعادة، ان الدين يجعلنا نكمت السعادة بسبب التشدد المفرط. و التشدد بكل صراحة يجعلني محبوسا داخل أكواخ العقدة النفسية و سلب الحرية، لهذا أنا اتخذت طريقا بعيدا كل البعد عن الأديان فالبكثير يسمونه بإلحاد لكني قررت أن أسمي نفسي بالسعيد الحر الطليق، فيمكنكم أن تنعتوني بالملحد. أحيانا أشعر أن الله ليس عادل. يعتني بفئة معينة و يهمل عبادا آخرون.
- الله سيد العادلين يا أخي، فأنت فقط لم تكن صادقا في دعائك و لم تكن قوي الايمان يا أخي. استمع الى هذا الحديث، عن ابنِ عبَّاسٍ، عن رسولِ اللهِ ﷺ فيما يَرْوِيهِ عن رَبِّهِ تَبارَكَ وتعالى قال: "إنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلك، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَها اللهُ عِنْدَهُ حَسَنةً كامِلَةً، وإنْ هَمَّ بها فَعَمِلها كَتَبَها اللهُ عنْدَهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إلى أضْعافٍ كَثيرَةٍ، وإن هَمَّ بسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبها اللهُ عنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وإن هَمَّ بها فَعَمِلها كَتَبَها اللهُ سيَئَّةً واحِدَة[4]" كما توجد العديد من القصص و الأحاديث التي تبين لك أن الله لا ينسى عباده فمثلا قصة سيدنا سليمان عليه السلام حيث كان جالساً على شاطيء بحر، فبصر بنملة تحمل حبة قمح، تذهب بها نحو البحر، فجعل سليمان ينظر إليها حتى بلغت الماء فإذا بضفدعة قد أخرجت رأسها من الماء ففتحت فاها، فدخلت النملة، وغاصت الضفدعة في البحر ساعة طويلة، وسليمان يتفكر في ذلك متعجباً. ثم أنها خرجت من الماء وفتحت فاها، فخرجت النملة ولم يكن معها الحبة . فدعاها سليمان عليه السلام وسألها وشأنها وأين كانت؟ فقالت: يا نبي الله إن في قعر البحر الذي تراه؛ صخرة مجوفة وفي جوفها دودة عمياء، وقد خلقها الله تعالى هنالك، فلا تقدر أن تخرج منها لطلب معاشها، وقد وكلني الله برزقها، فأنا أحمل رزقها، وسخرالله تعالى هذه الضفدعة لتحملني فلا يضرني الماء في فيها، وتضع فاها على ثقب الصخرة وأدخُلها، ثم إذا أوصلت رزقها إليها؛ خرجتُ من ثقب الصخرة إلى فيها، فتخرجني من البحر. فقال سليمان عليه السلام: وهل سمعت لها من تسبيحة؟ قالت نعم؛ إنها تقول: (يا من لا تنساني في جوف هذه الصخرة تحت هذه اللجة، برزقك، لا تنس عبادك المؤمنين برحمتك.فإن من لا ينسى دودة عمياء، في جوف صخرة صمّاء، تحت مياه ظلماء، كيف ينسى الإنسان؟!!

فعلى الإنسان أن لا يتكاسل عن طلب رزقه أو يتذمر من تأخر وصوله، فالله الذي خلق الإنسان أدرى بما هو أصلح لحاله، وكفيل بأن يرزقه من عنده سبحانه....

ماهي الا لحظات من انتهاء كلامي حتى رأيت ذلك الشاب باكيا متأثرا بهذا الكلام لكنه سرعان ما انصرف بدون أن يقول حتى كلمة واحدة.

---

[3] كتاب الايمان و التوحيد

[4] رواهُ البخاري ومُسلمٌ

هذه هي المشاكل التي تحدث للاشخاص الى أن تجعلهم مقيدين لا يعرفون شيئ عن الحياة، أحيانا أستغرب من البشر كيف صاروا يتسابقون من أجل المال و كأن لا هم في هذه الحياة الا المال، هنيئا لهم فقد حسبوا أن الرشوة متوفرة في الآخرة لكن هيهات.

- عدنان، أنت لست على ما يرام كالعادة، لا بد أن اصطحبك الى طبيب نفسي ما رأيك؟
- فكرة جيدة مادمت ستدفع فاتورة الطبيب فلا بأس.
- يا ممل حسنا هيا بنا الآن، اذا كيف هو وضعك العاطفي، كيف حالها؟
- جلية و مبهجة كالقمر يا أخي.

ها نحن نسير في الطريق الشاسع مجددا نحو الطبيب في الوقت الذي اتجه فيه عقلي نحو الضفة الأخرى من العالم حيث يتواجد البرق اللماع و الذهب النضير.

نور

كيف هو العالم يا ترى عندما يهجره البشر و تبقى بقية الكائنات الحية ترتع فيه؟ كيف هي البحار بدون القروش؟هل سيعم السلام فيها أم أن الحياة تحت المحيطات ستكون مملة بدون جريمة و بدون حالات قتل؟ كيف هي الحياة بدون براكين زلازل و و و و. هل تخيلت المشهد معي يا نور؟ نور ؟ نور؟

- نعم، آسفة لقد ضعت في مخيلتك يا خديجة.

- آه يا صديقتي و كيف هي الحياة بدونك يا ترى؟

- ستكون أجمل هاهاها

من ثم أغلقت خديجة الخط و تابعت طريقي نحو تلك الحقول حيث يوجد فيها الخيول تصدر ذلك الصهيل[5] الذي يطرب أذني، كم أعشق الحصان و هو يرتع في أراضي الله الشاسعة، نعم لا تسألوني عن سبب عشقي له، كل يوم أحد آتي لهذه الحقول فأنسى من أكون و أنسى كل البشر، حسنا ليس كلهم طبعا، أشم رائحة الطبيعة الزكية و أردد هذه الأبيات :

أيها الفارس الشجاع ترجلْ *قد كبا مهرك الأغر المحجلْ*
شد ما خب موجفا كل يوم *في طلاب من الفخار معجلْ*
دميت بالركاب شاكلتاه *فهوى رازحاً به ما تحملْ*
هزلت سوقه إلى أن تثنت *ودنا عنقه إلى أن تسفلْ*
وخبا من جبينه نجم سعد *طالما كان ضاحكاً يتهللْ*

[5]صوت الحصان

هكذا رحت ترهق العمر حثا فتلاشى ومجده بك أمثلْ
نادبي أدهم وناعي علاه كان من خيرة العلي أن ترحلْ[6]

كم أعشق أن أداعبها بيدي، كم أعشق ركوبها لأكون فارسة من فرسان البدوية. العديد من البنات يعشقن القطط و الكلاب، أنا أيضا أحبهم لكن الخيول أمر استثنائي.

حسنا آسفة على هذه المقدمة دون أن أعرف عن نفسي، أنا نور. ماذا أكان تقديم ضعيف؟ هيا أرجوكم أنا لست مثل توأم روحي يقدم نفسه بالسجع و تزيين اللغة، أنا فتاة بسيطة تحب البساطة لكن مازلتم لم تعرفوني بعد، صحيح أحب البساطة لكني أعشق الغموض و عقلي صلب لا يتراجع عن كلامه، المسكين عدنان كم يتحملني و يتحمل ازعاجي له.

اذا بقيت طويلا أتحدث عنه فلن تكفي سطور لقيمته في حياتي. أنا نور تلك الفتاة الصغيرة كما يسميها عدنان تذهب مع الذاهبين و تعود مع العائدين، تأكل، تشرب، أكره أدوات التجميل، لا أريد أن اضعها فوق وجهي. لماذا أفسد جمال وجهي بمواد كيميائية سخيفة، طبعا أنا لست ضد من يستعملها من النساء لكن ضد أن أستعملها أنا شخصيا. أعلم أن معظم البنات التي ستقرأ كلامي ستغضب هاها، لكن هذا رأيي و هذه حياتي، أنا فتاة حرة تحب الطلاقة، لا أملك رهاب الأماكن الضيقة لكني فتاة تحب أن تتخذ قرارات بمفردها، دون أي ظغط من أي انسان، ربما الآن صرتم تفهمون أكثر و أكثر مدى معاناة كسولي عدنان هاهاها، لا لا تسألوني أنا عن سبب تسميتي له بالكسول.

عموما، أعتذر منكم الآن علي النوم. غدا لدي مغامرة مع الدراسة، نعم أعلم لم أتحدث كثيرا، قلت لكم أني لست عميقة و كثيرة الكلام عكس عدنان. يا فراشي العزيز أنا قادمة.

[6]أبيات للكاتب جبران خليل جبران

عدنان بين الحقيقة و الوهم

بدأت الحكاية منذ أن بعث فتى عنيد للدنيا، فمن أين قمت بامتصاص هذه القدرة؟ ربما أنا أسميها قدرة، غيري يسميها مشكلة، شخص آخر يسميها دلال، لكن أنا من أسميها قدرة، لأني لم اقل لك اني كنت عنيدا في امتلاك قطعة حلوى من أحدهم، بل كنت عنيدا و مصرا على أن ابحث عن نسخة أخرى مني، لا يبدو الكلام غريبا أبدا، ما دام النحل يحارب كل الظروف من أجل أن يمتعنا بطعم العسل، فأنا سأحارب كل الظروف لأتمتع بطعم الراحة، نعم ساكذب عليك إن قلت لك أني مرتاح، فانا قلق، ماذا لو كانت نسختي الأخرى باردة جدا، تسعى وراء الزهد في الدنيا، ماذا لو يوجد اكثر من نسخة، حينها سيصعب علي السيطرة عليهم كلهمفي آن واحد. كم أحب أن اعطي لنفسي الوقت الكافي لعملية البحث. لو تعلم من أين بدأت هذه العملية، لقد قمت بتفتيش بعض الحروف، بدأت أولا بحرف القاف، حيث يوجد قرية بعثت منها رائحة الموت بعد أن دمرتها صواريخ النميمة، و مدافع التكبر، فكان مصيرها هكذا، نهاية أليمة لا تتمناها اي قرية، لكني قلت في نفسي أن هذا الحرف لا يمكن أن يحتوي عن الهدف الذي اسعى من أجله. الحرف الموالي هو حرف الباء، أي بستان يحمل معنى الحياة بأزهاره و أشجاره، فمن يدخل الى هنا يجد طريقه الى السعادة و لن يخرج الا و معه رائحة الأمل التي ستعيده الى سكة النصر، و أنا أين نصري؟ لماذا خذلتني يا أيها البستان؟ فنصري هو ايجاد نسختي التي ساتعرف عليها، للاسف هنا ايضا لم اجدها فلعلها متعلقة بحروف أخرى.

مررت الى حرف السين، سعادة مؤقتة جاءت و اندثرت. وصلت الى حرف الفاء، في الحياة الفانية التي يأتي وقت و لن يكون لها وجود. عبرت عبر حرف الجيم، جمال الاجساد لكن الاجساد تحت التراب ستفارقنا، حرف الشين، شاب مازال لا يفرق بين الحلال و الحرام، حرف الكاف، كر و فر بين الرغبة و الرهبة. حرف الميم مكر الثعالب و دهاء الذئاب، حرف العين عادات و تقاليد قبائل منعزلة عن العالم الحديث.

أتعرف، فلأنا كالمجنون امشي يمينا و يسارا، فاذا كنت املك جناحين فلن اتخلى عن فكرة التحليق في الأفق و البحث عن نسختي من فوق.

قمت بتغيير اللغة و زرت الحروف اللاتينية و بدون جدوى لم اجد تلك النسخة، لكن لحظة أنا لم انتبه لأمر ما، النسخة و النفس يتشاركان في حرف النون، فقمت بزيارة قلعة النون، و أخيرا وجدت رجلا شبيها لي ينظر الي و يقلد حركاتي، انا اقترب هو يقترب أكثر، أقترب نحو نسختي التي قضيت عمري كاملا و أنا ابحث عنها، الى ان وصلت و بدأت ابكي فبكي

هو الآخر، قمت بالاندفاع لأحضنه لكني لم استطع، هل تعلم لماذا لم استطع؟ لأنه لم يكن هناك أحد، هي فقط مرآة.
هذه ليست نهاية حزينة كما تظن بل إني اكتشفت الآن أني كنت أحمل شخضيتي بجميع نسخها معي، فقط كنت أكذب على نفسي، و كنت أظن أني ساتعرف على نسخة تواجهني من الأمام لأتطور أكثر، لا لن اقول أني خسرت أو ضيعت عمري، بل أخيرا اكتشفت من أكون، فيمكنك أن تطلق علي بالنفس التي تبحث عن نفسها يا دكتور.
- حالتك نادرة و جديدة لكنها ليست خطيرة كما تظن، منذ متى و أنت تشكو من هذه الحالة ؟

- منذ أن قمت بمتابعة رائدها و مؤسسها.

- فاكر ؟

- نعم

- اذا أنت تعرف حالتك و ما اسمها؟

- أكيد أنا أعرف، في الحقيقة أنا مستمتع بها فقط جئت لكي تفحص شخصيتي جيدا، هل لهذه الحالة تأثير سلبي؟

- أنت الأدرى بها، أيمكنك أن تعرفها لي ؟

- ان فاكر لم يخرج بشكل مباشر و أعلن عنها، الا أنه لمح اليها من خلال أغنيته التي غالبا لم يفهمها أحد، ان ما يدعى بالانجليزية "*الإيماجيوفوبيا* " هي حالة قد تكون حاضرة في أي نفس بشرية الا أن من يهتم بها يصبح مهووسا بها، و حاليا أنا أصبحت كذلك، ذكر فاكر في مقدمة أغنيته على أنه يبالغ في الخيال و يشعر بالخوف لأنه يخشى أن يعلق في داخل ذلك العالم (الخيالي) و الانسان الذي يتعلق بذلك العالم يصبح يعيش بذلك الخيال لدرجة أنك تلاحظ عليه أمورا غير مألوفة لم نلحظها من قبل، فهنا فهمت أن الإيماجيوفوبيا هي الخوف من الغلو و المبالغة في الخيال، هذا تعريف للمبتدئ الذي دخل جزئيا له لأن فاكر حاليا يذكرها لكنه سعيد لأنه من أسس هذا المصطلح العميق، حاليا لا يمكن له أن يكون خارج دائرة الخيال، فالخلاصة أن شخص مثلك و أي أحد لا يعرف عنها شيئ سيظهر له أنه مرض، لكن بالنسبة لي و لأب الإيماجيوفوبيا فاكر فهو مصطلح ايجابي.

- يبدو أن فاكر شخصية تبحث عن التجديد في عالم الفلسفة، ماذا عنك يا عدنان، هل تأثير فاكر عليك قام بزرع أمر ما بداخلك؟
- لو تعلم ما بداخلي لقلت لي كيف أنت على قيد الحياة الى حد الآن.
- ماذا تقصد؟

- لا أقصد شيئ دكتور، لكني تذكرت أمر ما.
- حسنا، أنت شخص ذكي يا عدنان، انه لفخر أن نرى اشخاص أمثالك في هذا السن تفكر بهذه الطريقة، هل تفكر في انشاء كتاب ما ؟
- ربما لما لا فبالخيال يمكنني أن أكون رائدا آخرا من رواد الخيال المفرط.
- ممتاز، بالنسبة لحصتنا اليوم انتهت، أكيد اذا أردت المجيئ مرة أخرى فمرحبا، الحديث معك ممتع.
- شكرا، ودعا دكتور.

خرجت من تلك الغرفة التي قضيت فيها دقائق معدودة أبحرت فيها في محيط الخيال حتى أنني ذكرت....

- عدناااااااان
- عيسى، لقد أفسدت مشهدي تبا.
- هيا يا ممل كفاك ابداعا أنا كنت انتظرك لأرى كيف حالك الآن؟
- أنا بخير دوما صديقي، دعنا نذهب الى الشاطئ.

في طريقنا لذلك الكوكب الذهبي لمحت ورقة نقدية تطير و تحلق في الأفق، أهي تحررت من نفاق و فتنة البشر أم أنها طارت صدفة الى أن جعلت أحدهم يبحث عنها؟

- يا عيسى من يملك المال في هذا العصر؟
- العديد يا صديقي.
- صحيح فإن من يملك المال يمتلك السلطة في أحد العوالم و هكذا يمكنه أن يقتل الفقراء، فالعدل حينها سيغيب و إن حظر فهذا يعني أن الطبقة العليا سوف تتضرر وتقرر التضحية بما تبقى من الطبقة المهمشة. في الجانب المقابل فإن المتبقين سيحاولون وزن الكفة للعودة للصراع مجددا إلى أن ينتهي أجلهم
- من هم المتبقون ؟
- حسنا سؤال جيد، المتبقون أقصد بهم من ليسوا من الطبقة العليا.
- إذا هل هم من الطبقة السفلى؟
- و لا من السفلى أيضا، فهم من طبقات مختلفة يتجمعون من أجل هدف واحد و هو النجاح من أجل شيء واحد و بعدها يبقون متعلقين بذلك النجاح، فتارة يصعدون بدون شعور و تارة ينزلون بدون شعور أيضا.
- إذا من برأيك يستحق أن يكون هو الباقي من هولاء؟
- هنا الأمر سوف يكون معقدا بما أن الأمر يتعلق بالبقاء ، فهنا لا بد من جملة اختبارات، كل اختبار بمعركة و كل معركة بجولات، اذا حسمت الاختبارات سيبقى شخص واحد و ذلك الشخص سيصبح هو المثل الأعلى

- إذا الباقي هو واحد فقط؟
- البقاء سيبقى لمن نجح في الاختبارات، لكن المثل الأعلى سيكون هو من يتحكم بالاختبارات فيما بعد، أظنك ستستنتج شيء الآن صح؟
- نعم، أعتقد أن المثل الأعلى هنا سيمثل الطبقة العليا، و في هذه الحال سيطبق العدل ليخرج عن المألوف، لكن هل المثل الأعلى الحاصل على أعلى درجة يكون على الدوام أم أن في كل مرة يكون هناك مثل أعلى جديد ؟
- سؤال ذكي، لكن إجابته واضحة، هل رأيت دولة فيها بورجوازي واحد؟ لا طبعا، لكن قد يكون غني عادل واحد نعم، فالمثل الأعلى هنا سيمثل كل الطبقات، في حال خرج عن العدل فإمكانه السقوط في مرحلة ما تعرف بال "الغامنة" أي مرحلة الفحص، إذا وصل المثل الأعلى إلى تلك المرحلة فهنا قد يبدو الأمر صعبا، لأنها بمثابة إعادة الاختبارات من جديد .
- الأمر أشبه بلعبة الأكوان.
- من أين تعرفها؟
- لست الوحيد الذي يتابع فاكر يا عدنان هاهاها.
- هيا يا عيسى لنعد الى الحقيقة قليلا حيث الواقع و الجدية و دعنا نتمتع بالفرجة، ما أجمل غروب الشمس عندما ينعكس على البحر و ما أجمل القمر عندما يضع ثوبه على سطع المحيطات فحينها سأهتف عاليا مرددا :

" أنا تحت أشعة البدر أشتكي، لهم قد أراه، لعجز قد القاه، سيأتي الحدث في وقت قريب. أنا في ظلمة الشتاء أبكي، من شدة قساوة البرد، من شدة صخابة الرعد، فالشتاء يسأل و دمعتي تجيب. أنا بين صخور البحر أغني، فالصخر كائن حساس، و البحر شيطان وسواس، البحر مخطئ و الصخر مصيب. أنا تحت زرقة السماء أنحني، منحنيا لمولاي عز و جل، شاكرا اياه على خيراته الكل، سأودع البحر الأزرق العجيب[7]*."*

[7] فاكر باب الله

نور و الدراسة

ما العمل الآن؟ هل أذهب أم أبقى في دفئ فراشي؟ هل أذهب الى تلك القلعة بخطواتي الصغيرة أم أبقى أميرة في قصري؟ هيا يا نور كفاك حديثا فارغا مثل كل صباح اثنين بالمناسبة هذا اليوم كم يكرهه عدنان بشدة فكان يردد دوما :

أيا يوم البداية سميتك بأبا المصائب
برزت كالبائس في أسواق البلاد
ايا فتح الأيام جرّت معك الغرائب
فكشفت يوما كصفاتك بأنك يوم الحداد

هذا اليوم بمثابة المصيبة التي تنزل عليه، فعلا قد يبدو يوما مزعجا. يوم العودة للدراسة بعد عطلة مقدارها يومين، و ها نحن نودع اليومين بكل حزن. أنا الصراحة لا أملك أي مشكلة مع الدراسة فأنا متفوقة و الحمد لله، لكن لدي بعض المشاكل مع الأساتذة و الزملاء، أنا كما قلت لكم أني فتاة عنيدة جدا أفعل ما يقوله لي عقلي. دعوني أسرد لكم بعض الأحداث التي حدثت لي.
في مرة من الأيام حيث كنت أتجول في ساحة المعهد الواسعة لمحت احدى صديقاتي تشيع لي و تقول لي تعالي يا نور، أكيد أنا بكل نية صافية ذهبت عندها لأسأل عن أحوالها و أكون أنيسة لها في الراحة علما أن خديجة في ذلك اليوم كانت مريضة و لم تأتي، فلما اقتربت منها بدأ وجهها ينفجر ضحكا فاستغربت حينها و قلت في نفسي ما الذي أصاب هذه الفتاة، هل الجنون حل بها مؤقتا أم أن شيطانا يدغدغ أحشائها؟ فلم أبالي حينها و أكملت و ليتني لم أكمل خطواتي، شعرت أني أحلق عاليا بين تلك النجوم اللماعة ابتسم للشمس الحارقة و الغيوم تحملني بين ذراعيها، نعم كان مقلبا في يوم نسيت أنه الأول من شهر أبريل السخيف حيث أنهم قاموا بوضع موزة فوالله لم أتفطن لها، فمنذ ذلك اليوم معظم الزميلات تقلن لي يا صاحبة الموزة.
هذه كانت حادثة بسيطة من جملة الأحداث التي حصلت، فأتذكر ذات يوم بينما كنا في حصة الفلسفة حيث كنا مركزين في أصل الوجود، أنا الصراحة لا أكره الفلسفة لكني أفضل أن

أناقشها مع عدنان و ليس في المعهد، أفضل أن أتذوق طعمها الحلو من ثغر حبيبي. آسفة لأكمل الحادثة. طرح الأستاذ سؤالا و قال :" أين يكمن وجود الانسان هل في الشر أم في البراءة؟ فأجاب أحدهم حينها و قال :" في الاثنين يا أستاذ لكني سأختار في الباءة." فاستغرب الجميع حينها و قال له الأستاذ:" ما الباءة يا بني أنا قلت براءة؟ فأجاب التلميذ:" نعم و هي كذلك البراءة لكن من اليوم اسمها الباءة." فقال الأستاذ:" و لماذا؟ فأجاب:" لأن حرف الراء أكلته نور." و حينها نظر الي الجميع و صعد صوت الضحك و كأنهم شاهدوا لقطة من لقطات تشارلي تشابلن، على فكرة أنا لدي مشكلة مع حرف الراء و لا أنطقه بشكل جيد، طبعا الأستاذ فهم الأمر و أمر بطرد هذا التلميذ لمدة ثلاث أيام، نعم التنمر يجب أن يعاقب عليه مهما كان، لماذا التنمر يكثر في الدراسة؟ ما مشكلتك اذا رأيت شخصا يأتي ليحارب و يطلب العلم من أجل أن يحقق أحلامه، ماذنبه اذا كان يرتدي قميصا أو حذاء طوال السنة؟ ما العيب هنا؟ اذا كنت أنت تغير ثيابك طوال اليوم أشكالا و أنواعا فغيرك لا يجد ما يرتديه و لا يشكو من البرد الذي يضرب العظام. هو فقط يفكر بأن يطلب العلم ألا يقال :*العلم أعلى من المال منزلة؛ لأنه حافظٌ والمال محفوظٌ.* فدعونا من هذه التفاهات، فيا أيها الشباب و أيتها الفتيات و خاصة الفتيات لأني منهن و أعرفهن و أسمعهن، كفاكن جلسة و اجتماعات طارئة من أجل التنمر على تلك و تلك من أجل لون أظافرها أو نوع شعرها. أرأيت لماذا أكره الدراسة ليس بسبب الدراسة و انما ما يتبعها. كما أتذكر يوما كنت آكل مع خديجة في مطعم المعهد فاذا بنفس الفتى جلس بجانبنا و أراد أن يسخر مني هذه المرة أيضا و قال :" بسببك طردت من المعهد لثلاث أيام و حرمت من الفرض، هذه حقيقتك أنت تعجزين على نطق الراء لم أكذب، أنت حتى اسمك تنطقينه نو و ليس نور." فقاطعته خديجة صارخة في وجهه:" اسمع يا هذا من تظن نفسك بأن تقول لها كلاما مثل هذا، ما دخلك أنت اذا كانت لا تنطق الراء أو لا تتكلم أبدا فهل هذا عيب؟ أتريد أن اظهر عيوبك أنت أيضا، هل تظن نفسك متكاملا عفيفا لا اضرار فيك؟ هل تظن نفسك الأفضل في هذا المعهد بتكبرك و علو كعبك علينا؟ ألم تقرأ حديث رسولنا محمد صلى الله عليه و سلم عندما قال :*لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.*[8] فيا هذا اذهب الآن و راجع نفسك لأني سأصنفك من ضمن المريضين نفسيا لأن حالتك لا يرثى لها، و أتعس من أي مجنون ضائع بين الشوارع، فاذا بقيت لحظة أمامي فستسمع أقسى الكلام و أعنفه." فانبهر كل من حضر في قاعة الأكل و احمر وجه الفتى و انصرف و منذ ذلك اليوم لم يكلمني حتى، هل رأيتم قيمة صديقة مثل خديجة انها الأفضل في حياتي.

آه لقد تأخرت، علي أن أجهز نفسي لأذهب، هذه قصتي مع الدراسة، لكن عموما أنا تلميذة متميزة و أحقق نجاحا مذهلا فيها، فكل هذا بفضل الله سبحانه تعالى.

نور و خديجة

[8] عن النبي ﷺ قال:حديث عبد الله بن مسعود **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** ، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة؟ ، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطَر الحق وغمْط الناس، رواه مسلم

قصف الجبهات

... اشتد الألم للحظات و هجرني و حينها أدركت أن الكائنات التي تعيش بداخلي ستقوم بطرد روحي لكني لن أستسلم لغدر الزمان، كنت ملقى على الأرض فاذا بعيسى أتى للاغاثة بعد ندائي له فقام باسعافي بكلماته الراقية و اقترح علي أن نذهب للمقهى. وصلنا بعد عذاب الدهر في ذلك الطريق القاسي، لماذا وصلنا الى درجة نتمنى فيها ألا يموت أحدهم بسبب معركة لا داعي لها. وصلنا لمقهى الزيفان التي يجتمع فيها أقوى الرجال بلاغة و فصاحة في الكلام، فجلسنا على الطاولة الخشبية تنبعث منها رائحة العراقة و الأمجاد، و هي لحظات حتى لمحت رجلا تكاد عيني أن لا تصدق ما رأته، بقيت مركزا فيه فقال لي عيسى:

- يا عدنان لما تركز على هذا الرجل، هل تعرفه؟
- هل تمزح يا عيسى ألا تعرف من ذلك الرجل؟
- لا الصراحة لا أعرفه، أخبرني من هو؟
- انه أمير، أمير الدمار، لقب بالدمار لأنه يدمر أي شخص بهجائه و أسلوبه الحاد و الخشن، يدمر أي خصم يقوم بشتمه، قصائده كانت توضع على الصفحات الأولى من الجرائد أتذكر قصيدته الشهيرة بعنوان "خنزيرنا النقي" تقول :

السلام على تلك الروح الساكنة في كهف مهجور
ظلت تحارب نظرات الخفاش و خيوط النواس[9]
السلام على حيواناتنا الوحشية جارفة التراب
عذرا فحمام الأودية ليس لي بل لأهل الكباس[10]
أتظنني مجرد كائن عابر فوق جسوركم
فتأملاتي تجعل القذارى تحت سلطة الهجاس[11]
يا خنزير المزارع أمازلت صديقا و مرافقا للوحل؟
أم أن الأرض التي أنجبتك نفتك الى أضيق مقياس

---

[9] العنكبوت
[10] الرأس الكبير
[11] الشعور بالمرض

لا تبكي يا رضيعي أستطيع ارجاعك
الى أعماق المحيطات أين يضربك الهلاس[12]
لا أبدو لكم في صورة الانسان القاسي
لست مغفلا لأقف بجانب الخنازير لأني من النهاس[13]
و ارتقى خنزيرنا ليصل لقمة الجبال
ليس الآلب بل هي كومة من القمامة في الهندوراس
سأكف عن الشغف معك بكل اختصار
فقط قم بوضع كلامي في وضعية العكاس[14]
أرى قبحك تبتلعه الأرض فتبصقه لسوء مذاقك
هل أنت كريه لدرجة العفن أم أن جسمك تحكه بالكرباس[15]
يكفيك لوما اليوم فيدي لا تتعب على القذارى
[16]فالسلام عليك و لا تنسى أخذ طعامك من النخاس

- واو يبدو قاسي جدا هذا الدمار
- نعم و هو كذلك و هذه من أشهر قصائده فلديه الكثير، هيا عيسى دعنا نذهب و نجلس بجانبه.

فذهبنا و طلبت الاذن منه و وافق، كان يبدو عليه الكبر، حيث اشتعل ذلك الشعر شيبا و بدأت التجاعيد تظهر شيئ فشيئا على ذلك الوجه.

- أريد أن أسألك يا عم أمير، من أين تأتي بذلك الكلام الخشن التي تخشاه كل الرجال؟
- يا بني، ان الكلام فطري من قلبي، فما وصلت للهجاء الا و أنني في حالة غضب. أتذكر في صغري أن أبي كان يقول لي لا بد من أن تكون صلبا و موزونا في كلامك فتحترمك الناس، لأن فصاحة اللسان تجعلك بدون أدنى شك راقي في هذا المجتمع.

بينما كنا نتبادل الحديث من هنا و هناك الى أن صرخ رجل من بعيد:" انظروا الى الأمير العجوز، أليس هذا بمن يسمونه الدمار؟ كم أود أن أقصفه بكلماتي لكي أخجله أمام كل الشعب." و اقترب منا الى أن جلس و ردد عاليا :"

السلام عليك يا صغير الأحياء و كبير قرى المجاري
أراك تتعنق صفات النحيل و أنت خال من الأخبار
لم تجري العادة أن الصراصير تجد راحتها في المقاهي
فهنا نوزع مواد التنظيف اذا كنت تريد حجب الأقذار
مرحبا يا أيها الضيف المنحرف كيف كان يومك

---

[12]الهزال
[13]آكل أو ناتف اللحم
[14]أي عكس الكلام
[15]راووق الخمر
[16]بائع الرقيق

أراك جالبا قطعة الجبن من الشوارع و مليئ بالأوبار
لا تلمني على كلامي فأنا الشريف الذي لا يضر بالماء
فقط سأسلم الأمر لأحدهم ربما الصياد أو الأمطار
من مِنّا لا يعرف الهر الذي يهاب المياه و الدهر يمر
و الجسد يبقى بوسخه طول الحياة حتى تنتهي الأعمار
يا أمير لا أرى التاج فوق شعرك الحديدي الجاف
هل هذا شعرك أم هي شوائب نزعناها من مياه الآبار
ضحِكتُ عندما سمِعتُ أن ملك القصف هو أنت يا قط
فكلماتك الفارغة تقاص بالشبر و لنرتكها حتى أشبار
فيا دمار أنت من تدمرت حالتك بعد كلماتي الموجعة
فعد من حيث أتيت فمكانك ليس مع الرجال بل مع القطط فوق الأشجار

ردها علي ان استطعت فأنت عجوز غير قادر حتى على المشي.

فضحك أمير قليلا و لم يبقى حتى دقيقة واحدةو وقف و رد عليه بالكلمات التالية :"

وعليكم السلام يا أيها الكبير كما أطلقت عليّ الصغر
من قال أن الأخبار لا توجد فعندي خبر اندلاع الحروب
و من قال لك أني صرار متنقل أبحث عن راحتي
لقد نسيت أن الحشرات تعرف بعضها حتى عبر الشقوب
المقهى مكان مفتوح و تملك صاحبها الذي يحكمها
و الجبن الذي تتحدث عنه سرقته من فأري الحبيب بأجمل أسلوب
بالطبع أنت من فئات الفئران يا صاحب العيون المرّة
إذا كنت أنا الهر فأنت الفأر الذي يقلقني قارض الملابس و ثاقب الجيوب
أضحكتني عندما قلت لي أنك الشريف الذي لا يضر
يا فأري العاهرة لا تتحدث عن شرفها من كثرة العيوب
الهر يهاب الماء لكنه أنظف من عدة بشر على أرجلها
الهر ينظف نفسه ليس مثلكم تبقون بأوساخكم إلى أن تحل عليكم الشحوب
و الآن سأمر عليك و سأكف عن التعميم بما أنك سميتني
فالأمير اسمي و ليست مهنتي، الحماقة معك من الشروق حتى الغروب
لست ملكا على أي أحد فقط من يداعب عقلي أرد عليه
حتى ان كان كلامي قصير فيبدو قويا عليكم و خال من العطوب
صدقني كلماتك تدغدغ، فقلبي انحصر من الضحك
اضحك على حالك التعيس فالفئران يتجولون ليلا من أنبوب إلى أنبوب
يا فأري كيف مازلت على قيد الحياة و الناس تكرهك
فأرى عيناك تاعبة من قلة النوم فأراك نشيطا من كثرة الهروب
يا عزيزي،القط تكرمه الناس و يأكل أطيب الطعام
و ليس مثل الفئران في دخوله للمنزل العصا من المستقبلين و الماء عليه مسكوب

يا فأري فأنت تعرف المجاري أكثر من كائن آخر
فذلك مسكنك و تبقى تصول فيه من الشمال للجنوب
الآن حان وقت المغادرة نحو مكان صافي من النساء
فلا تشتم أحد أمام الآخرين و اصبر حتى يخرجوا فإن الصبر من صفات سيدنا أيوب
فالسلام عليك مرة أخرى فوقت الغداء قد حان
فسأذهب للأكل مع الذين يستحقون أما أنت أتركك تبحث عن الحبوب

احمر وجه ذلك الرجل مثل الطماطم و صفق الناس و هتفوا باسم الأمير فقال أحدهم :" ملك القصف لم يمت فهو دوما حاضر معنا."

- أرأيت يا عيسى هذا مصير من يسخر من الآخرين، لا تظن أن الآخرون انتهوا حتى و لو كبروا سنا و كأن الدمار يقول لهم الآن لا تلوموني عندما أنعزل عنكم فنحن لا نلوم الشمس عندما تختفي في الليل فهي تختبئ لكي ننام من الراحة كذلك احسبوا غيابي هي راحة لكم.

انطلقت تلك الروح نحو فضاء فارغ من الضجيج و كثرة الهمسات، فارغ من الصداع الذي يضرب القلوب، أليس الصداع للعقول و الرأس بصفة خاصة؟ فهنا نتحدث عن عجز القلوب فيسمى بصداع القلوب.

- عدنان من ماذا تشكو الآن؟
- العاطفة يا صديقي، العاطفة قوية، تحضر في أوقات أحتاج فيها الى عناق أو كلام رقيق من احدهن.
- احدهن؟
- هههه يا مشاغب أنت تعرف من هي.
- أين هي الآن؟
- في قلبي.

آه يا زمان، ما الفائدة من تذوق طعم الحياة ما دمت شخصا مكروها، ما الفائدة من التجول مادامت النظرات علي كأني مجرم مشبةها، ما الفائدة من دخول الحب مادمت شخصيتي تلامس الانسان المعتوها، فما الفادة من العيش في اطار تختلف فيه الوجوها.

- مهما اختلفت يا عدنان فأنا لن أكون غريبا عنك.
- أعرف هذا يا صديقي.

لست مزاجية

إذا كنت تسأل عني، بخير أو لا، طبعا سأجيبك: أنا بخير، و هذا ما يظهر علي، ابتسامة و سعادة، نعم أنا كذلك لكن ليس لأني أضحك و الابتسامة تهيمن على ملامحي بل لأني قمت بتحليل سعادتي و خدعت الحزن كما ينبغي.

ففي هذه اللحظة بالذات اشعر بالسعادة بكوني مقبلة على اختبار قبول النفس بعد أن زارتني شخصيات قامت بفحص كياني بالشكل المطلوب، حسنا ربما تتسألون لماذا سعيدة و أنا لم اجتزه بعد، أقول لكم أني واثقة من نفسي أني سانجح فيه، حسنا من تمنى لي الإخفاق أقول له أني اخيرا اجتزت الفرض و نجحت بالعلامة الكاملة بدون أخطاء.

هذه هي الحياة يا صديقتي، حسنا آسف و يا صديقي ايضا، ليس كل ما تراه أنت خاطئ أراه أنا ايضا خاطئ، يوجد أمور أنا أريد أن افعلها، لأنها تظهر لي صحيحة و مناسبة لي، وتوجد أمور تكون ساطعة على عقلك لكنها كالظلام في عقلي لأني أكون تائهة أحيانا كروح عبرت و سلكت الغابات .

نعم هذه الحياة، أتعلم حتى ان وصل الأمر و سخرت مني، قمت بشتمي، اردت امتصاص طاقتي، شغفي و اردت ان تبعثر أحلامي، و ماذا ايضا هل انتهيت من كل هذا؟ حسنا شكرا الآن يمكنني ان اضحك، اغسل أسناني، انظف أذناي و اعود للنوم.
اسمعني لست مطالبا بأن تتكلم من وراء ظهري و تغدرني، كن جريئا و شجاعا في حياتك و وجه سيفك أمام وجهي و قل ما شئت حينها فحينها ستعلو لغة الصمت اكثر من الكلام
ماذا ما بك؟ هل تشعر بالخجل عندما تشتمني مباشرة امام وجهي؟ كم أنت مضحك حقا، المفروض تخجل من نفسك عندما تتكلم في غيابي، لا بأس هيا سأساعدك سأردد معك ما كنت تقوله عني، فإني استمتع بهذا، مثلما أنت تريح قلبك عندما تنعتني بتلك الصفات الدانية فأريد أن اسمعها منك بشكل مباشر، لعلي استمتع ايضا، أكيد ساضحك على هذا. لا تقلق لن يحدث بيننا شيء لأني أنا من طلبت هذا أنا قلت لك كيف ستكون ردة فعلي. و من صباح يوم الغد سأقول لك :

أهلا، هل أكلت جيدا، هل شربت، هل أديت واجبك الديني. جيد جدا، إذا حان الوقت لتحلي،و التحلية ستكون اكواب من التحفيز الذاتي، أو قطع من العبارات الراقية التي تجعلك ترتقي يا ولدي، فهذا ليس مستوى أشخاص يودون أن يشحذوا معاني الدنيا و يودون خوض تجارب الجدية المتأرجحة بين الحيادية و الاهتمام، و في الحالتين لن تضر أحد،و هذا ما نبحث عنه أن لا نضر أحد بل نريد أن ننفع الآخرين، أنفعك و تنفعني، لهذا من حقك أن تنقدني و من واجبي أن أنقدك، فأنا في نظر العالم وفي نظر نفسي، أدعى بالناقدة. الناقدة التي تجدها تبتسم لك ان نقدتني بالايجاب و تجدني تعيسة من وضعك المزري. كيف تراني الآن ؟ جميلة؟ قبيحة؟ فيا أيتها النفس، عينك نعمة من الله لكي ترى بها الجمال ليعجبك و ترى بها عيبا لتصلحه و ليس ترى جمالا لتحسده و ترى عيبا لتستمر في لذتك.
أنا لست مزاجية لكني متقلبة كالطقس، حسنا ربما السؤال مادام الطقس ينقلب فان هذا الأمر يتعلق بالمزاج، نوعا ما نعم، لكن يوجد سبب يدفعك لتغضب بسرعة. لأنهم يدفعوني لأن أتغير بسرعة فهذا تتعلق بي صفة المزاجية، لكني عبرت كثيرا و اقول لست مزاجية.
لكن نفترض حتى لو كنت مزاجية و حتى ان كنت أمل من بعض الأمور بسرعة كبيرة فان شعوري تجاه الحبيب لن يتغير أبدا.
ها أنا ذا استلقيت، أتأمل رسوماتي، وضعت سماعات في أذناي و سمعت كلام عدنان و هو يردد : بشعور قربني و فجأة و في لحظة أخرى أصبح حلمي بعيد، فضربني بسهامه و تركني تحت الأشجار أليم، فأسقاني بالقطرات و فكرت في عودتي سليم، لكنها مياه الوهم فأبدا لن يكون كريم. ما أقبح خيانة القلب عندما تتزامن مع واقع مجيد، رميت القلوب جانبا و حسمت المصير، فمشيت و القلب مختفي فأصبحت أسير، من طموح عالي أصبح مشروعي صغير. الشعور و الخيانة من حولي و كأني صرت لهما من العبيد، فالنوم هاجرني و أكثرت من السهر، اشتقت للراحة لأني راقص فوق الجمر، و في آخر المطاف قيدت و كتب على قيودي لا مفر، لكني رميته على الحائط و عاد أملي من جديد.

المكالمة

- السلام على ضياء أشع قلبي و لم يتركه و لا للحظة يعاني من الظلام. السلام على سطوع أنار عقلي و خدره بالبريق المشع من الأمام. السلام على نور، نور قلبي و روحي.
- السلام على رفيق دربي البعيد، بعدك عني قسم قلبي الى نصفين. نصف لا يتركني تائهة و نصف يتجول معك أين ما حللت.
- كيف حالك يا نور عيني؟
- الحمد لله، سماع صوتك يجعلني بخيرو أنت يا نصفي الثاني؟
- ما دامت أذني صاغية لصوت صغيرتي فاني أحمد الله على أنك بخير.
- اشتقت لك يا عدنان، و الله فان السماء لتشهد كم من مرة نظرت اليها و الدمع رفيق عيني و أردد في نفسي: عدنان عدنان عدنان.
- يا ظريفتي أنت في دائرة ليس كتلك التي رسمناها في حصة الرياضيات بل هي دائرة الحب الخاصة بي. اشتقت لك جدا.
- كلماتك تكفي بأن أرسل ابتسامة من وراء الكواليس لتشعر بها.
- كفى ابتسامة أرجوك يا نور قلبي، أنا أحبها لكن كل ابتسامة هي سلاح يضرب قلبي آلاف الطلقات في الثواني.
- يا حبي أنت كلك رصاصة تصيب قلبي.
- ان أصيب قلبك فقلبي سينبض من أجلك.
- أين ستكون رحلتنا اليوم يا عزيزي، أم أنك مرهق يا كسولي أنت هههه؟

- لا في الحقيقة لم يكن يوما شاقا فقط تجولت مع عيسى كالعادة في الطرقات نحاكي الواقع و نتأرجح بين جمال الطبيعة و قبح قلوب بعض البشر.
- عدنان، هل أنت حقا بخير؟
- نعم حبيبتي أنا بخير.
- هل أكلت جيدا اليوم؟
- نعم أكلت كثيرا الحمد لله، أكلت حتى تكاد بطني تشتمني.
- هههه يا أكولي أنت، اذا بعد الأكل ما رأيك في رحلة على الشاطئ أنا و أنت نتجول من ثم نجلس قرب بعضنا البعض بشرط أن لا أحد يتحدث.
- نعم فحينها ستطغى لغة الحب بيننا، لغة القلب و ليس باللسان. لنجلس فوق الرمال الباردة لكن جسمينا ساخنين، أهاب أن تذوب الرمال فتفقد هيبتها لكن مهما حدث فيجب أن تنحني أمام هيبتنا.
- أنحن في جزيرة يغلب عليها السكون، فتحضر فيها حركة العين تجاهك؟
- نحن فيها يا نور قلبي، حتما نحن فيها.
- عدنان كم أنا متحمسة حقا أراك.
- كم ترين حماسي يا صغيرتي، أكاد أفر من عالمي لأبحث عنك في عالمي الموازي. آه يا حبيبتي لم يكذب من قال من يحترق قلبه بالحب يدور العالم و يصبح مجنونا.
- أنا صرت مجنونة بك، مهووسة باسم عدنان.
- اسم عدنان؟ لا يا مشاغبة قلي أنك مهووسة بي و ليس اسم عدنان.
- هههه يا غيوري أنت، كم أعشق غيرتك هذه تجعلني أطمئن في يوم أكون فيه بين أحضانك.
- أنت لي يا نور عقلي، أنا الألف و أنت الياء بيننا قصة الحروف. كم أريد أن أرى شروق الشمس على قلبي و أرى ضوء الألعاب النارية يلمع على شفتيك.
- يكفي، لا تجعلني أخجل هههه.
- يا ظريفة أنت.
- لكن ماذا فعلت الآن لتقول لي ظريفة؟
- أنت دوما في نظري ظريفة يا ظريفتي ههه.
- ماذا تقصد؟ لأنني صغيرة صح؟ يعني أنا مثل الصغار؟
- نعم لكن ليس بذلك المعنى، لم أقصد شيئ.
- فهمتك.
- ماذا هل انزعجت؟
- نعم.
- لكن لماذا؟
- أنت تعرف.

- هيا يا نور قلبي، هل تنزعجين من عدنان المسكين؟
- لا يهم، ابحث عن طريقة لأسامحك.
- كنت سأقول لك شيئ لكن بما أنك منزعجة مني لا بأس سأقولها لاحقا.
- ماهو قلي.
- حسنا، كنت سأقول أني سأجلب لك الشوكولاطة منقوش عليها فراشة يا فراشتي.
- أنت تعرف نقطة ضعفي يا مشاغب. لكن لماذا منقوش عليها فراشة بالذات؟
- لأنك فراشتي يا نور عيني
- فهمتك، لكني مازلت منزعجة.
- هيا يا نور، كم من مرة ضعت في قلبك و هطل المطر، فوجدت الحطب لكني لم أشعل النار لأنك ستتألمين، ستختنقين بذلك الدخان. فقررت أن أبقى باردا لكي لا تتضري يا عزيزتي.
- ههه حسنا سامحتك يا مشاغب، فقط أحتاج الى عناق، عناق واحد يكفيني لينسيني كل الهموم يا حبيبي.
- عانقيني يا أيتها الروح، فحتى لو كنت في بلد و أنا في بلد فأصواتنا ستعانق بعضها البعض.
- آه يا عدنان كم أود أن أراك حقا، ليتني أراك كل يوم.
- كم أتمنى هذا أيضا يا روحي.
- عدنان؟
- يا روح عدنان.
- أيمكنك أن ترددها الي الآن؟ أود أن تنتعش أذني بها.
- القصيدة؟
- نعم.
- بكل تأكيد يا حبيبتي :

نزلت عمدا في قصيدة الغزل
كأن الروح جنت جنونها و انصدمت من حجم الجبل
غزل لروح تمسكت بسنابل عقلي
فكانت حمالة البهجة و مرهبة الملل

فنزلت من الشرائط الملونة و لعلي أتحدث عن شعرها المدلل
شعر يطفو حرا طليقا
فتحرق العيون لرؤية اللهب
فلن يتفرق الشعر ما دام المتغزل حاضر فهو المتكفل

فأخذت خصلة لزيارة الجبين

فانزلقت لنظافة المكان
ألا تحتار النفس؟ فو الله ما وجدت البشر و ما وجدت المباني
فكان أرضا قاحلة وبالعرق مبلل

فانزلقت مع القطرات أتدحرج
فمسكتني الأهداب و هي ترمش
فالتفت للخلف فاذا بالعين تحدق
فهربت كلماتي و انا مهمش
فالى أين هربت؟ أين أنت؟
فبقيت التقطها بالحرف بالحرف في بياض عيونها
الى أن تجمعت كلها في العدسة
فالقلب هش و يتحطم ان واجه جمالا او ركب عليه الكلل
فأكملت النزهة و لامست اللين وجسدي يتحكك
فعرفت اني فوق هضبة فقررت المكوث قبل أن اواصل و اكمل
فالهضبة هي الخد فقد تورد و توسعت تفاصيله لاستقبال الخجل
و قد ختمت سيري بالمرور الى الفم
فالشفتين ابهج المستقبلين
و الأسنان جهرت عيناي الذابلتين و ثغرها يبعث اجود العطور

فصعدت الآن عمدا لختم الغزل
لكن الروح مسكتني
و قالت لي مازالت البركة و لا تفقد الأمل
فروحها مازالت عالقة بحقول عقلي
و مازالت حمالة البهجة و مرهبة الملل

- هل نمت يا نعوسة؟
- آه آسفة، فصوتك الجميل راحة لي يا روحي.
- لا بأس يا نور، اخلدي للنوم، فيبدو عليك التعب، لكن قلي لي هل رسمت شيئ ؟
- طبعا فأنا دوما أرسمك، سأرسلها لك.
- حسنا، اذا فلتكن كل أحلامك مليئة بعدنان ههه.
- أحبك.
- أحبك أيضا.
- أنا أكثر ههه.
- أنا أكثر يا عنيدة ههه.

أسئلة

1) كيف تبدو لك شخصية عدنان؟
2) ما رأيك في نور؟
3) ما رأيك في العلاقة القائمة بين عدنان و نور؟
4) تحدث عدنان عن مصطلح " الايماجيوفوبيا " و فسرها جيدا بناء عن أقوال المؤسس، فما رأيك بهذه الظاهرة؟ هل تشعر أحيانا بأنك تعاني منها؟

الجزء الثاني

الحرب ضد العنصرية

كل الطرق تؤدي الى طريق مسدود، فطريق روما مغلق اليوم. لست لأمس الحاجة بأن أكون منافقا بل كل ما أرغب أن أكون هو نفسي، أتظن الخرفان بأني أغازلها لكي أصطحبهم في رحلة نحو المشنقة؟ أيظن الحمام أن رغبتي في الطيران هي أن أكون له منافس الدهر على سباقات التحليق؟ فقط أنا من يمثل نفسي، لا النفاق و لا الكذب. هكذا كنت أردد عندما دخلت احدى الأحياء الضيقة تنبعث منها رائحة الموضى و سقوط الضمير، لكني كنت مضطرا بأن أكون هنا بما أنها دعوة من صديقي الذي كنت أنتظره، صديقي الراقي الخلوق ذو الوجه الحنون و الابتسامة العريضة، صديقي اللطيف و المحترم نادر.

نادر من الأنواع التي تحبها الناس و تحترمها، يجعلك تستمع و تستمتع بما يقوله لأنه انسان ذكي و مثقف و مولع بالثقافة الحديثة المزينة بنكهة التقاليد. أبوه صحفي و أمه مديرة أعمال في احدى الشركات و أخته مخرجة في أقوى القنوات، فجمع بين ابداع المقالات، فطنة التسيير و المعاملة باخراج ابداعي تتضمنه لمسات التاريخ بحضاراته. نادر يحب السينما، فكان يقضي معظم عطلته في مشاهدة الأفلام و المسلسلات، حسنا هذا ليس بغريب فالجديد أن نادر لا يكتفي بالمشاهدة فقط بل انه عقب اكماله أي فيلم يخرج أوراق بيضاء تفوح منها رائحة العطر و قلمه رفيق دربه و ينطلق في كتابة تلخيصه للفيلم و ما الذي استفاد منه بالظبط، فيستنتج في الأخير القضية الأساسية للفيلم و من هناك يبحر في تلك القضية و يستعمل ذلك الفيلم كحجة قوية، و عند انتهاء الكتابة يعطي كل الوثائق لأبيه ليستعملها، كما يخطر في باله أفلام يقترحها على أخته لتصنع منهم ابداعا فنيا لا مثيل له. هاهو نادر قادم

يجر معه ابتسامته التي تسعد النمل و النحل من جمالها. قام بدعوتي الى حفلة غناء لأنه سمع بأن حالتي غير مستقرة فأراد أن يسعدني. ماهي الا لحظات حتى زار الصخب أذني، فكنت أرقص دون شعور مع نادر، شعرت حينها بشعورين، شعور السعادة الذي يأتي بصفة لاشعورية في تلك الحالة و ذلك المشهد الذي تنظر فيه للناس من حولك يرقصون و يقفزون، و من جهة أخرى شعرت بالضيق لكني عجزت على تفسير هذا، هل لأنني غير معتاد على هذه الأجواء أم أن شيئ يحترق داخل جسمي. عموما انتهينا من الرقص و خرجنا نستنشق الهواء بعد أن كنا في حصرة الملهى. فبينما كنا نتبادل الكلمات مرت فتاة من أمامنا بيضاء ناصحة يكاد السيف يخجل من شدة صفاء بشرتها،ابتسمت لنا فابتسم لها نادر، في الحقيقة أنه دوما ما يبتسم الى الناس دون تردد هذه شخصيته، فابتسمت هي الأخرى و قالت :"اهلا أرى نظراتك ثاقبة وجهي الجميل، شكرا لك، لكن سامحني لا أستطيع أن أكون طرف حب مع فتى أسود، فهل يجوز لجمال بياضي أن يرافق أسودا قبيحا؟ لا طبعا يا للعار". و هنا ظربته سكاكين طاعنة يكاد يغرق عرقا من شدة الخجل و تغيرت ملامحه الى الغضب ممزوجة بالجنون، للعلم أن نادر لديه جانب مظلم لم أحدثكم عنه و هو أنهكان يعاني من أزمة نفسية كبيرة حيث كان طول الوقت منحصر في المنزل و ينظر للحيوط كما كان يتأمل من النافذة ناظرا إلى السماء. و يعود هذا لسبب تهميشه من قبل أصدقائه فكان يريد لعب كرة القدم لكنهم كانوا لا يمررون له لأنهم يعتبرون لمسه للكرة وسخا لها بسبب عتم لونه. كما كان منفيا من قبل زملائه في المدرسة و كأنه كائن لا وجود له على وجه الأرض. فكأن نادر عاد الى الماضي في هذه اللحظة لينطق بهذه الكلمات:

الأقدام تجر أصحاب الطرقات الى أبعد مسافة
و أقدامي تنتمي اليهم لا شك أني من العابرين
و العين لا تكف عن النظر أي كان القبح أو الجمال
فاللوم جاء مباشرة بعد أن دخل التفكير أني من المعجبين
فيا ابنة الحي كنت مارا من هذه الأنهج الضيقة
فصراخك عالي سيقلقني و سيقلق الماشين
يا ابنة الحي من قال لك أني أحببتك من نظرتي
فالعيون خداعة و لعل عيني كانت من الخادعين
يا ابنة البيضاء قلت أنك لن تكوني طرف حب معي
لماذا هل أنت للنهار تنامين و لليل تكوني من الساهرين؟
قصدي واضح يا راقصة الحنات لترضي أصحابي
ليس أصحاب العشرة بل هم للمصالح مقبلين
يا ايتها الفارغة الأسمر يقتلك بمجرد انتهاء الاستنشاق
فبدون أن أوضح فشفتاك واضحة من المدخنين
يا ابنة الحي الأسمر حين يحب لا يفرق بينك و بين الأخرى
نعم الأخرى هي الشريفة و أنت فقط من القطط الهاربين

يا ابنة الحي و هل أنت تعرفين أصلا معنى الحب
لأن العاهرات من أجل المال يلعقون السيف و السكين
يا ابنة الحي لا تواجهي الأسمر أمامك
فالفرق شاسع بين شريف مثلي وعاهرة من حين الى حين
يا ابنة الحي ارجو أني لم أكن قاسي عليك جدا
أو لا بأس فأنا لأصحاب القلوب الضعيفة من أشد المعجبين
يا عاهرة الحي هل عرفت الآن ما معنى حب الأسمر
فحبك باطل و حبي يصل للفقراء و المكفوفين
لا فرق بيني و بين الناس إلا بأعمالنا
فأنا لم أحسبك لأن نظرتي هي بمثابة المزحة للمشاهدين
الآن سأترك لك البصل لتغرقي في دموعك السافلة
و سأكمل طريقي نحو أصحاب العقول و لبشرتي قابلين

- نادر أرجوك توقف، ستصاب بمكروه ان أكملت على هذا النحو.
- أرجوك يا عدنان دعني أكمل فلساني لن يسامحني يوما ان لم أفرغ ما في داخلي. في مساري أطوف واقفا على نفسي، لم أتأكد اذا كنت بريا أم أليف. القصد ليس حيوانا بل الاتصاف بالشهوانية، فظهرت ذلك الفتى الثابت و النحيف. المظهر الذي يهابه الجنس المعادي لنا، فهن لمخدرات العضلات الفاتنة حليف. ألا يبدو باطني جميلا عندما تمر عليه الأجساد، ستغركم وجوه خارجية تدخلكم لطريق مخيف. لن أكون مساعدا لفتاة الهلاك يوما، فربما أجرح لها اصبع أم أغلق عليها السكيف. جسمي متواضع و بتواضعه أكون سعيد، فلا احتاج لارضائكم يا بنات الرجل الشريف. يا أرانب المستقبل، هل أعجبتكم الأعمدة، كم كانت الأيام ممطرة أم أنكم استعنتم بالشواديف. يا عزيزات عضلة در الرجال كيف حالكم؟ هل انتهت متعتكم أم غرفتكم غرقت في الخصيف. نحن فوق الأطلال نتعالى و نسمو كأننا الملوك و لا نتغزل بجسد مر عليه كائن رهيف. يا بناتي أدعوكم لشرب السموم في كهف المهجور أين تجدوني عضوا مرعبا و سخيف. يا عاشقات اللبن الى أين تفرون؟ فقد أبدو ضعيفا لكني أقسم بأني زريف. أخيرا أصبحت واعيا بأني العاقل المقدم على التفاهة، لكن جنسنا الداني بقي للجهل زليف.

بدأت تلك الفتاة في البكاء و صرخت عاليا حتى سمع كل من كان حاضرا فاجتمعوا و بعدها أتى صوت من الخلف :" اسمحوا لي." فاذا هو بشرطي قادم و قال :" ماذا يحدث هنا؟
فأجبته :" لا شيئ فقط نقاش."

- نقاش؟ هذا الأسود القذر نعتني بالعاهرة.
- أنت من بدأت أولا.
- أنت اصمت. قال الشرطي
- أصمت؟ لدي حرية التعب...
- قلت لك اصمت يا أيها الأسود، بالنسبة لك ستذهب معي الى المركز فورا.
- ماذا عنها؟ سأل نادر.

- هل مازلت لديك شجاعة و تتكلم يا ابن السوداء، أنا ابنة الوزير و تريدني أن أذهب الى المركز؟ هل أنت مجنون؟ هيا يا شرطي خذهما من أمامي.
- ابنة وزير؟ و ما المشكلة؟ كلنا سواسية يا أختاه.
- اصمت و اركبا حالا. قال الشرطي.

فكنا محترمين و ركبنا السيارة دون أي مقاومة. فوصلنا الى المركز و أجلسنا أمام رئيس قسم التحقيق و بدأ يسأل :

- ماذا فعلتما؟
- القصة أن صديقي...
- اذا كان الأمر متعلق بصديقك فلماذا لا يتحدث هو اذا؟ هل فقد فمه في الطريق؟
- لأنه غاضب و أردت فقط أن..
- ألا تفهم؟ دع صديقك يتكلم أيها الأسود.
- انظر كل ما في الأمر هو أن الفتاة مرت من أمامنا، ابتسمت فابتسمت لها فنعتتني بالأسود و القبيح فأجبتها بطريقتي.
- و ماهي طريقتك؟
- قصيدة، قمت بهجائها.
- هل مازال هناك من يلقي القصائد (يضحك) أتظن نفسك في خيمة جدك ؟
- هل مازال أناس أمثالك لا يستعرفون بالقصائد؟ فطبعا إن الجهل مرسوما على وجهك الكئيب.

فصرخ الرجل و صفع نادر، و حينها لم أتحمل فوقفت و كنت على وشك أن أضربه لكن عونا من خلفي مسكني و أجلسني.

- ماذا عنك؟ هل تظن نفسك قويا لتضربني؟ فهل العبيد تضرب أسيادها يا أيها القرد.
- قوي لدرجة أني أستطيع أن أجعل بطنك الكروية تطلب الرحمة مني.
- اصمت، كم أنت مقزز، أنت لا شيئ في هذه الحياة، قل عني ما شئت فانك ستخسر معي، قلي من أنت؟ حفيد من أحفاد أولئك الذين كانوا عبيدا لأجدادنا.أين أنت؟ تدور بين الأحياء كتلك القطة السوداء القبيحة رفضها كل الناس بسبب عتمة لونها. انظر الي، أين أنا، رئيس مركز شرطة بعدما أن كنت عونا.
- ان رميت عظما للكلب في كل مرة فانه سيأخذها و لن يتردد حتى لو أعدت الكرة مئات المرات، كذلك أنتم تطمعون في المناصب و لا تشبعون. تحمي تلك الفتاة لأنها ابنة وزير خوفا من منصبك، فتبا لك و لأمثالك الذين انتشروا بكثرة في هذا البلاد.
- نعم أحسنت يا أيها الأسود. هل انتهيت من الكلام الفارغ.
- لم أنتهي، اذا أردت يمكنني أن أبقى حتى الصباح و أنا أشتم أمثالك. لأنك لا تمثل رجال الأمن أبدا، رجال الأمن في خدمة الشعب و يستمعون اليه. يطبقون القانون على الجميع، حتى ان كان الوزير بأم عينه.
- لا وقت لي أضيعه حتى الصباح هيا خذهما الى السجن يا أيها الشرطي.
- سجن؟ هكذا مباشرة؟ لا محاكمة و لا قرار من القاضي؟ و أصلا ما التهمة؟
- هو من أجل الشتم و نعت فتاة بالعاهرة و أنت من أجل كلامك الموجه لي و محاولتك لضرب عون أثناء القيام بعمله فعقابكما السجن.

- هل يعقل هذا؟ هي شتمتني أولا لماذا لا تعاقب هي أيضا؟ و أنت شتمتنا بالأسود، قلت كلاما خطيرا للغاية. أنت أبيض أهذا يعني أنك أفضل مني؟ هل هذا هو مقياسك للأفضلية؟ التقوى يا رجل التقوى، الله يرى القلوب و لا اللون. لا فرق بيننا الا بالتقوى و ايمان قلبك.
- الأسياد الذين يرمون العظام لي لا يعاقبون، و كلامك هذا أكمله وراء القضبان مع بقية السجناء. هيا لا وقت أضيعه خذهما على الفور.

يا له من موقف لم أكن أتخيل يوما أنه سينتهي بي المطاف في السجن، فلم أتصور نفسي محبوسا. فأنا في الواقع الشاسع أحيانا أشعر بنفسي سجين فما بالك بالسجن؟ لم نكن قادرين على فعل أي شيئ، فهذا ما كان يطمح اليه أغلبية الناس، أن يعودوا بنا الى زمن العبودية، أليس هذا ظلما في حقنا؟

- مهما حدث يا صديقي فنحن دوما معا، لن يدوم هذا الحال أبدا.
- طبعا يا نادر،لن يطول الظلم في هذه الأرض.
- سلبت مني صفات الفتى الأمين في زمن صغير، فلولا السيطرة لكنت طرفا من جريمة قتل، فيا نفسي اعبري فترات الضيق نحو الانفراج، فسأكون غبيا إن غضبت من أشخاص غارقين في السفل. من هم حتى يكونوا لكياني مصارعين، فسيوفهم و دروعهم لن تحمل الا لتشغيلهم للعقل. من فينا لا يعرف تلك الدجاجة التي تحاول الطيران، فجناحها مجرد زينة يحميها من هجوم القمل. ارتقوا فأنتم من أدراج أهل القذارى. قذارتكم أفشلتني و أفشلت الأحباب و قوم النمل. كيف الحال التشاؤم المرسوم على وجوهكم، هل نراه متغيرا أم أن القبح رفيقهم في الأمل. قلبي حساس و لكن عقلي منبه له في الوقت، لكن قلوبكم مثل تلك الصخور المدفونة تحت الرمل. أي عقل يملكه الدجاج المغمور بصفات التكبر، فان كانوا من الفضاء لصنفوا قطيعا من زحل. البيض الآتي من أوساخكم مغمور أكثر مما نتصور، بياضه عفن و فساد و الأصفر هو أصل الجهل. فأي جذر أتت منه هذه الحيوانات البدائية، فهم بمثابة الأموات ضحك عليهم الحصان و الجمل. فلن ألوث لساني لنوع جديد من الحشرات، و لا أريد ذكر الدجاج لأنهم يسببون لي الملل.

كانوا يقودوننا بالسلاسل كأننا مجرمان من درجة أولى. كنت أمشي، أمشي و أنا مقيد في ظلمة ليلي، أشعر ببرد ذلك الشتاء، بعيدا عن الدفئ مقبلا عن العناء، أسيرا و فوقي أوراق الشجر. أمشي و قد أغلقت الغرف في وجهي، طالبا الراحة لمشي ثقيل، أمنيتي النوم لوقت قليل، فغدرتني قطرات المطر. أمشي و الماء قد عانق كل جسمي، خائفا من نهاية الطريق، نهاية كلها حصار و ضيق، محاصر بكمية من الحجر. أمشي و قد عاد الي كل أملي، سأتحرر من قيود شرسة، سأهرب من أعداء مفترسة، سأنجو في نهاية السفر.

الحلم

في جهة ما و في إحدى الطرق التي يجب أن أسلكها واجهت حشائش متنوعة ، ليست حشائش البحار أو المحيطات ، بل حشائش الدنيا المستلقية أمام مجد منشود عطلت مساري و بعثرت أمورا مادية، و بالمادة لا نعني المعادن أو الأوراق التي لا معنى لها ، بل نعني بالهياكل التي تود أن تتظاهر أنها من البشر، و هنا سأمر مرورا الكرام على هذه الهياكل، و أقف أحيي عقولا سُخِّرت من أجل التفكير في عقول أخرى ، فمثلا هنا سأذكر المقاسات التي كبرت على الكائنات ، تعلقت و ذكرت كلما ذكرنا الفساد، الفساد الروحي، الفساد النفسي. اذا حضر الفساد في هذه الكائنات ، مع فسادهم الطبيعي، فهنا نشهد نشأة كائن فاسد بطبعه و فاسد بالاكتساب ، لا عقل له، وجوده عبثي بدون أي فائدة في هذا الكوكب. أنا لا أذم أي أحد، لا أذم هذه الكائنات، بل إذا كانت لدي القدرة على نفيهم من جميع المنصات التي تتطلب التفكير مع أننا هنا لا بد أن نكون في محل التفكير في أي مكان في هذا الكوكب، اذا كانت لدي القدرة على نفيهم لفعلت طبعا و لجعلت أساميهم تنسى من جميع الذاكرات لأننا لا بد أن نتعامل مع بشر لهم روح ، جسد و ليس كائنات يصعب القول أنهم متنكرون في زي إنسان و يقولون أننا من البشر.

سأقف أحيي كل عقل أعاد تركيب مكونات عقله بانتظام و قام باعادة صياغة مفهومه بشكل واضح و غامض في آن واحد، لأن النفس البشرية تطمح الى القمم، و القمة لا بد أن يتسلقها البشر بمجهود ، تجرح الأصابع و يتمنى الظهر أن يعود لاستقامته .

إن الشخص المهووس بنفسه، يبدع كما يبدع في وظيفته، لتكن نفسه هي موهبته النادرة، كل نفس تتمتع بموهبة مزروعة فيها منذ أن انبعث الى العالم المحسوس ، تكونت كينونته الخاصة ليكون مبدعا. حتى ان لم يكن ابداعه مكشوفا ، فانه يكتم تلك الموهبة داخل محيطه ، إما تأجل ظهورها، أو خاف من الاخفاق.

إن الكائن الموهوب يثق في موهبته و يضعها كخيار أول بأن تكون مرشدة له طريق النجاح، أو كخيار ثاني لتساعده على تحمل ظغوطات الحياة و صب تركيزه فيها. فحلمي بأن أكون تلك الكائنة المنعزلة ترسم بشغف كبير بمخيلتها المتواضعة. أرسم كل ما مرعلي من حلو و مر كما أرسم كل الاحتمالات التي قد أواجهها مستقبلا. فإن خيالي المتواضع يستطيع أن يعبر تلك المحيطات الباردة و العميقة. هذه الموهبة التي تجعلني متمسكة بأعمدة الواقع فتراني تلك

البريئة تتسلق من أجل كشف المعنى الحقيقي لهذه الموهبة. فمن كان حائرا و متعجبا من سقوط الأمطار، وقف بجروحه على قمم الحكاية. من كان الحبيب المسؤول على نقطة الغضب سلب منه ضلع من ضلوع الكرامة. من كان المشوس[17] الأكبر لأغلى البنات، كان العمود من أعمدة حب الغزالة. من سهر على مدار ليالي بكثافة اضطراب، قاتل أمام الأعداء و ساجد للجلالة. أنا من رافقت رسائلي الى أبواب فرجها، خوفا من أن أخسر سبب السلامة. فيا طير انزع قطرات الظلم عن عيونك و حلق الى الأفق حتى تتحقق العدالة.
ليت أحلامي تتحقق، فحتما أريدها كذلك. أكون رسامة مبدعة، و أكون رفقة عدنان. على ذكر عدنان أين هو؟ لقد اشتقت له. لم يرسل لي رسالة اليوم. أشعر أن مكروها حصل له.

- يا خديجة لماذا لا تقولين شيئ؟
- كنت اسمعك، تتتحدثين عن الأحلام.
- و أنت ماهو حلمك يا صديقتي؟
- أحلم أن أكون في الفراغ بين العالم الحسي الوجداني و العالم الخيالي. أرتع في ذلك العالم المحصور بينهما حيث لا تجدني الكائنات الحية فأكون سيدة الكون الذي أعيش فيه. عادة ما أسمي نفسي بالغير المحظوظة لكني لطالما أؤمن بنفسي أكثر من أي شخص كان، فشخصيتي لا تبدو هشة بناء على ذاتي لكنها ستكون كالزجاج الرهيف الذي اذا ألقيته تجده مكسورا في ثواني.
- أنت تتكلمين مثل عدنان هكذا هههه.
- حقا ! اذا لابد أننا نتفق في شيئ.
- خديييييجة، يكفي انه ملكي وحدي.
- أمزح معك فقط ، يا غيورة هههه.

خديجة

[17] المشوس هو مصطلح مأخوذ من كتاب فاكر الغير صادر، و الشوس هو من صنعه و تعني أعلى درجة في الحب و التي يصعب أن يصل اليها الانسان.

وراء القضبان

أي مشهد يمكنني أن أصفه؟ أي لحظة هي شعرت بها؟ لحظة دخولي الى تلك القلعة سوداء التي يغلب عليها الحزن و الآلام. هل هو ألم فراق أم ألم الغربة الطويلة عن الديار؟ من هذا ؟ رجل موشم من الحلق، الأذنين،الأنف و حتى الجبهة، نظر الي و كأنه يرى أميرا مدللا دخل حيا شعبيا ليرى معاناة الشباب. فقال حينها ذلك الرجل الموشم :" رحبوا معي بالرضيعين الجديدين في غرفة الرجال. قلا لي أنتما الاثنين، ماهي تهمتكما؟ أسرقتكما حفاظة من المدرسة؟ فتعالت أصوات الضحك علينا و كأننا على الركح نلقي مسرحية من نوع الكوميديا. نظر اليه نادر نظرة حادة كذلك الصقر استعد لخطف الفئران من تحت الأعشاب و قال له :" كلنا ارتدينا الحفاظة يا رجل فلا حرج في هذا الا اذا كنت تخجل من عفنك تلك مسألة أخرى، الحرج في الوشوم التي تضعها على كامل وجهك كأنك خريطة تتنقل بين السجون، ما الأمر؟ هل تغطي قبحك بتلك الوشوم؟" آه يا صديقي نادر كم أنت شجاع حقا. طبعا انبهر الجميع بعد سماع ذلك الكلام و صفقوا، وغضب الرجل و تردد في الهجوم على نادر و عاد الى مكانه. فذهبنا نحو مكان و كنا معا طوال الوقت نحدق في الجميع. انه واقع أليم أن تعيش تجربة في السجن. بينما كنت غارقا في التأمل لمسني أحدهم من كتفي، كان كبير السن يبدو في السبعين من عمره، قال لي :"

- لا تخف يا ابني، أعرف شعوركما جيدا. هل أنتما اخوة؟
- لا انه صديقي لكنه أكثر من مجرد أخ.
- جيد، ما تهمتكما؟
- نحن مظلومان.

فقفز أحدهم و قال :

- هيا يا أخ، الكل يقول أنه مظلوم في هذا المكان، ما الحقيقة؟ أنتما شابان فيبدو أنكما استهلكتما المخدرات و مسكتكما الشرطة صحيح؟

من ثم جاء شخص آخر و قال:

- لا، أظن أنهما دخلا في صراع مع أولاد و انتهى بهما الحال هنا.

فتدخل أحد آخر:

- لا لا، أظن أنهما كان يضاجعان عاهرة و لم يعطيانها نقودها فقامت برفع دعوة عليهما، أنتم تعرفون طبيعة العاهرات.

فصرخ الرجل :

- اصمت يا أيها المنحرف، ألم تكفيك تربية السجون اذهب من أمامي. دعني أستمع اليهما.

فقال نادر:

- الخلاصة يا عم أن فتاة قامت بشتمي بلوني فأجبتها على طريقة الأجداد و هجيتها، و لحظنا التعيس كانت ابنة وزير فلم يستمع الينا الشرطي و أرسلنا الى هنا مباشرة.

فضحك الرجل و كأنه سمع دعابات منا و قال :

- يا أبنائي، هل سمعتما بقصة ساي المغامر[18]؟
- لماذا تضحك ؟ قلنا لك الحقيقية و أنت تقول قصة ؟ قال نادر غاضبا
- يا نادر اهدأ أرجوك. نعم يا أيها العم أعرفها طبعا.
- عندما انطلق الأبطال الثلاث للبحث عن الكهف الهادئ، مروا من أمام غابة تدعى بغابة العجب. فلاحظوا العجب بأم عينيه بدءا من تلك الأشجار الناطقة باسم الاستسلام و يأسه من الطبيعة، أيعقل أن ابنة الطبيعة تيأس من أمها؟ مرورا الى الأزهار الفاتنة لكنها تغازل الساحرات رغبة في زيادة الجمال. الشجرة القوية كانت هشة و الهشة كانت هزيلة لا تستطيع أن تحمل عصفورا، ليس لأنها لا تقدر بل أن العصافير لا تعيش فوق الأغصان بل تحفر حفرا في الأرض و تختبئ فيها.
- يا سيدي، ماذا تقول؟ لم أفهم شيئ، يا عدنان عن ماذا يتحدث؟
- نادر أرجوك اهدأ، أكمل يا أيها العم.
- فسأل أحدهم حينها عن هذا المكان، فأجابه ساي أنه لم يتعجب من هذه الأمور لأنها مرآة تعكس الواقع. كم من شعوب أيست من وطنها فرغبت في مهاجرته. كم من فتاة حسناء نسيت جمال خلقها و أخلاقها فأرادت أن تغير ملامحها، كم من فرد خدعته المظاهر الخداعة فتبرمج على تلك الخطى، كم من حقير منافق، كم من نذل كاذب. أرأيتما كم العالم قاسي عندما نراه مجسدا أمامنا؟ فيا أبنائي ان هذا الأمر أصبح بمثابة الروتين نراه يتكرر. لن ترتقي العقول مادامت تظن أن أصحاب البشرة السمراء قردة. البعض من شعوبنا لن تتذوق طعم التسماح مادام لون فتى الأسمر يثيرهم حيرة بمروره، مادام وجوده بينهم كالغريب خارج محيطه المعتاد. دوما ما كنت أتساءل متى يا ترى يستقيم خط العقول و خط العنصرية و يصبحان خطين متوازيين؟ إن العنصرية أصبحت و كأنها موهبة يكتسبها الإنسان . العنصرية أنواع، لدينا العنصرية الغير المباشرة و التي تتمثل في كون أن الإنسان أول ما يخطر بباله هو البشرة البيضاء. فمثلا إن سألت أحدهم عن أجمل النساء العالم أو الأمر نفسه إن سألت فتاة عن أجمل الرجال في العالم فمباشرة سيتم ذكر شخصيات من ذوي البشرة البيضاء و هنا سنفهم أن الجمال متعلق بالبشرة البيضاء. يوجد من يريد أن يغير موضوع العنصرية بمجرد طرحه لأنه يعلم أن لا نقاش فيه و يتظاهر أن ضد العنصرية و في الأصل قد يكون هذا الشخص عنصريا. إن الأشخاص من ذوي البشرة السوداء تعاني بشكل كبير في كل المجالات، سواء في الرياضة في السينما، في العمل اليومي، في أي شيئ. إذا أراد شخص أسود أن يطلب الزواج من فتاة

---

[18] قصة خيالية لفاكر باب الله

بيضاء فالجواب سيكون لا فإنه يرونه من العار. يمكنك أن تجرب و تسأل فتة و تقول لها هل تقبلين الزواج من فتى إفريقي أو من ذوي البشرة السمراء بصفة عامة فسترى الجواب كيف سيكون، ستقول لك إن وقع الحب بيننا فلما لا، إنما الحقيقة يوجد تردد كبير. فجرب مثلا أن تسألها هل تقبلين الزواج من أوروبي أو من كوري أو ياباني مباشرة ستقول نعم. المشكلة تكمن في العقول و في هذه المسائل يتعلق الأمر بالتربية و الأخلاق، لأن العنصري عديم الأخلاق و بالإضافة أنه تجاوز حكمة الله في خلقه. العنصرية مرض نفسي كبقية الأمراض فلا بد من الجميع أن يتعالج، لا بد من الجميع أن يقوموا بفحص و اختبارات، تحاليل لرؤية اذا كانوا عنصريين أم أنهم سليمين.

- فهمتك هذا هو واقعنا للأسف. فأحينا أقول في نفسي لماذا أنا هكذا؟ لماذا لوني يختلف عن الآخرين؟ لكن ليس صعف بل بالعكس إنها قوة. أولا هي القوة الإلاهية بأن يجعلنا مختلفين فسبحانه تعالى هو المبدع و هو على كل شيئ قدير. ثانيا هي قوتي أنا و قوة تفكيري بأن أكون مختلفا تماما عن غيري. كلامك مذهل يا عم لكن عذرا، أنت تظهر انسانا طيبا، كيف وصل بك الأمر الى هنا؟
- ماذا كنت تظن؟ أن كل الناس هنا معاديين للخير صحيح؟ يا بني نحن هنا لأننا أخطأنا و نعاقب من أجل ذلك الخطأ، يوجد من كان مظلوم، و آخر سيطر عليه الشيطان.

حاولت أن أسأله مرة أخرى عن سبب دخوله السجن لكني تفطنت حينها أنه لا يريد أن يتحدث في الأمر، فذهب الى فراشه و بقيت رفقة نادر مصدومان مما حدث، مازلنا لم نقتنع بعد بما حدث لنا. بقائي هنا سيعذبني، لا سيما قرأت و كتبت عن العزلة، لكن لا عزلة تعلو فوق عزلة السجون. فحقا تشعر أنك عاجز على الخروج و نيل حريتك. أنا روح ساكنة في جسد نحيف فتكاد تلك العين أن تبكي على حالتي فهطلت دمعتي أخيرا و تساقطت حتى من السحاب استحى، أين هو السحاب؟ لا أراه فبيني و بينه سقف حديدي يكاد أن يكون عازلا للاكسجين. سمعت نادر هو الآخر يردد :*مكثت في الظلمات و النور ينكر الا على الفم، فما فرقت الليل و النهار ما دام الجسد مصارع للأحزان. عيني الذابلة صارت براقة من شدة الألم، و صوتي يحاكي الصمت فلا وظيفة للأذان.*[19]

ازدادت حاسة السمع لدي و خاصة أني أسمع ذلك الرجل الموشم يقول للآخر:

- أنت أيها الأصلع الخبيث، هل أنت تصلح بأن تكون أبا، ما الحياة التي تنتظرك خارجا ؟
- مهما كان ينتظرني، فهي تبقى أفضل من هذا السجن مادام حقير أمثالك موجود.

اشتد الصراع بينهما و كادت تحدث مجزرة لولا تدخل بعض الرجال لفك الصراع، لكن الشتائم لم تنتهي بينهما:

- لو كانت معي زوجتك و هي تنجب فأول كلمة سيلفظ بها ابنك هو "عاهرة" قبل أمي.

فأغضب هذا الكلام ذلك الرجل غضبا شديدا إلى أن تراه يرسل يده تحت سرواله الواسع و يخرج آلة حادة و يطعن بها الآخر ثلاثة طعنات في البطن، كل طعنة بصراخ و في الصراخ موت بطيئ يطارد تلك النفس. كم أردت أن أتمعن في تلك الطعنات لكن الدماء أغرتني بحمرتنا و هي تنزف من تلك البطن الممتلئة.

سقط الجسد و صعدت الروح و عادت الأمانة إلى ربها بعد تأكيد الوفاة و تم نقل ذلك السجين القاتل إلى سجن أخطر و أشد حراسة.

---

[19] من قصيدة المتأمل لفاكر باب الله

و بعد انتهاء هذه الحفلة القتالية اقترب مني رجل في الأربعين من عمره، شعره طويل كمغني الروك، يحمل سيجارة على شفتيه الجافة، اقترب مني و ضرب على كتفي و قال : مالك يا ولد أرى علامات الخوف و الحيرة تضرب وجهك الصافي، لا تقلق فأنا أفهمك، كنت مثلك شابا عشرينيا يافعا لا يضر أحدا لكن بسبب غضبي قضيت عشرون عاما أشاهد أفلام رعب على الواقع كل مرة، أرأيت ذلك الرجل القاتل، فإنه كان رحيما هذه المرة و لم يتفنن في القتل، إنه من أعنف الأشخاص، كان يجزر الناس و يعذبهم أشد العذاب، أما المقتول فهو واشي حقير لسانه طويل بدون فائدة،أرأيت كيف استقبلكما هنا، عموما هيا تعال معي لنلعب بالورق و اجلب صديقك أيضا.

فلما كنا غارقين بين الأوراق نحاول أن ننسى هموم السجن للحظات، عاد ذلك الرجل المسن وجلس بجانبنا و كانت الابتسامة تستحوذ على ذلك الوجه فنظر الي و حدق الي وقال :

- إياك و الحسد يا صديقي إياك، فذلك الغلام مجتهد يعمل و يكدّ. إياك و الكذب يا صديقي إياك، فالحقيقة بارزة لا محالة ستنتشر و تمتدّ. إياك و الرباء يا صديقي إياك، فالمال بالجبين يكسب و اللّسان يعدّ. إياك و العنف يا صديقي إياك، فما ذنب الضعيف الذي يخاف و لا يصدّ. إياك و الزناء يا صديقي إياك، فشرف الأنثى إن ضاع لا يُردّ. فالله يرشدك الى اليسر، فكن من طرفه فقوتك معه ستشتدّ.

من ثم انصرف و عاد لسريره و حينها سألت الرجل بجانبي :

- أرجوك أخبرني ما قصة ذلك الرجل؟ ما التهمة التي جعلته حبيسا لهذا السجن؟
- انه العم إبراهيم، قصته حزينة جدا، فحقا إنه يحمل معنى الظلم معه. ابتلاه الله بمرض لكنه لم يتفطن له باكرا، كان يشعر بأعراض كل مرة لكن يا صديقي في هذه الحياة تلتقي بناس تقول عنهم ما الفرق بينهم و بين إبليس بأفعالهم الشريرة. أولا علي أن أقول لك أن العم إبراهيم موسوعة علمية على هيئة إنسان، يعرف كل شيئ، كان أستاذا جامعيا مختصا في العلوم الإنسانية و عندما كان طالبا كان يوجد فتى اسمه جمال كان يحسد العم إبراهيم لأنه ذكي جدا، نعم لك أن تتخيل هذا، بالرغم من أن ذلك الفتى ذكي أيضا لكنه كان يريد المرتبة الأولى التي كانت محسومة لإبراهيم. و بعد سنوات و أعود لك بالكلام عندما شعر بأعراض ذهب الى المستشفى و من يجد؟ نعم جمال، ففرح العم الإبراهيم لأنه كان يحسبه صديقا، لكن باطن جمال مشحون بالكراهية و الحسد. فكان في كل مرة تظهر فيها نتائج إبراهيم بأنها تبين أنه مريض، كان جمال يدلسها و يغيرها لتبين أنه في حالة جيدة. تكرر الأمر أكثر من مرة. ربما هنا تسألني و تقول لي لماذا لم يذهب الى مستشفى آخر أو على الأقل يجد طبيب آخر ؟ لأن جمال كان لا يبين الحسد بل كان يعامل إبراهيم على أنه الأخ في الدنيا و الآخرة لكن هيهات، فلهذا إبراهيم يثق في جمال كثيرا. فعندما تزوج و أنجب ابنا واحدا، كان يحبه جدا و يعتني به لكن المرض انتقل اليه بل و ولد معه، طبعا لم يكن يعرف هذا لأن فحوصات الابن أيضا كان يدلسها جمال. و مرت سنوات و عندما سافر ابنه الى بلد آخر ليبدأ مسيرته المهنية، لكن مات هناك، و حينها تلقى العم إبراهيم ضربات موجعة حتى يصفع بألم آخر و هو موت زوجته. بقي وحيدا في ظلمة منزله حتى وصل عمره الى الستين فعان من الدوار و نقل على اثره الى المستشفى و أخبروه عن مرضه و تبين في الفحوصات أنه كان يعاني منه منذ ولادته و حينها لاحظ أن الأعراض التي كانت تظهر عليه هي نفس الأعراض التي ظهرت

على ابنه ففهم حينها أنه ولد بذلك المرض. فذهب إبراهيم مسرعا نحو منزل جمال آخذا معه نتائج تحاليله و أول جملة قالها إبراهيم : لماذا كذبت علي طول هذه السنين؟ و ألقى على وجهه الأوراق. فقال له حينها جمال كل الحقيقة و أنه كان يكرهه و يحسده بسبب لون بشرته، كان يكره أن يكون شخصا متفوقا عليه و هو صاحب بشرة سمراء. فمسك إبراهيم جمال من قميصه و هو يردد: بسببك فقدت ابني العزيز. بسببك فقدت عائلتي و مهنتي، و جمال كان يحاول أن يفتك منه و يقول : أتركني، فأنت تستحق كل هذا لأنك لست أفضل مني. فلما كانا على تلك الحالة أتى ابن جمال و كان في التاسعة عشرة من عمره، و لما رأى أباه يتشاجر مع إبراهيم أمسك بسكين و اندفع و غرس السكين بضربتين لكنه أخطئ و ضرب أباه ظانا أنه ضرب إبراهيم لأنه كان خائفا و من شدة الخوف أغمض عينيه، فسقط جمال و الدماء تندفع من جانبيه فقال إبراهيم: ماذا فعلت ؟ فلما انحنى أبراهيم لرؤية جمال غدره الابن بعصا على رأسه ليغمى عليه. فمسك الابن بالسكين و وضعها في يد العم إبراهيم و خرج و اتصل بأمه و أخبرها بأن أحدهم دخل الى المنزل و طعن أباه و في نفس الوقت اتصل بالشرطة و قال لهم نفس الكلام. و طبعا وقف العم إبراهيم أمام القاضي و استعرف أنه قام بقتل جمال و حكم عليه بالسجن المؤبد.

- هذا مؤلم حقا، عشر سنوات الى حد هذه اللحظة في السجن، لكن لماذا استعرف بهذا؟
- لقد سألته نفس الشيئ، فقال لي أنه لا يوجد شيئ ليفعله بعد الآن بعد أن خسر كل من يحب، فقال عوض أن يعيش وحيدا قرر أن يستعرف و يمضي ما تبقي من عمره داخل السجن مع الرجال، أما ذلك الفتى فهو في سجن بدون قضبان سيبقى يلوم نفسه على قتل أبيه و ظلم بريئ.

و حينها نهضت و ذهبت الى فراشي، فحقا قصة العم إبراهيم حزينة جدا لدرجة لا توصف. بقيت أحدق الى السقف، فهل النوم سينزل على عيني أم أن هذه الصدمة لن تزول عني؟ فلم أشعر الا بالصباح عندما فتح أحد الأعوان الباب و ناد عاليا : عدنان و نادر ستخرجان هيا جهزا أنفسكما. فحينها لم نستوعب الأمر، أهذه حقيقة أم وهم؟ لقد اعتدت على الأوهام من قبل لكن هذه المرة سأتقبل الحقائق بأني خرجت من السجن أخيرا لأكون حرا طليقا مرة أخرى. هو يوم واحد كان بمثابة عام، كدت أختنق في هذا المكان. و قبل خروجي أعطاني العم ابراهيم ورقة و أوصاني أن أحتفظ بها.
ها نحن نرقص معا مرة أخرى كأنه احتفال بإعادة الحرية من جديد و لكن هذه المرة لن نبتسم لأحد لا فتى و لا فتاة. حدقت في تلك السماء و أخرجت الورقة التي أعطاني اياها العم ابراهيم و بدأت في قرائتها: سألتني عن سبب دخولي هنا لكنني تجاهلت السؤال. فهذه هي إجابتي عليه :

ظلمت في سلة من أعماق أحزاني
مرافق الهم من القدر الأصيل
فللظلم مكانه و المقربين منهم عداني
فالصبح قريب و الجفاف سهل و البكاء قليل
فهم الأمور ظل من ضفة الحنان فهداني
و الفرح أصبح بعيدا فيا ليتني كنت نبيل

فحالتي تشكو عذابا من غلام رماني
فرغم الجروح سأبقى بدون أي شك فضيل
و القدر محدد مصيري و الشر بالقرب لقاني
سأدعو كل صاحب خير و أبعده عن الطريق الرذيل
يا شعب الظالمين أنا واقف و الدماء في كل أركاني
سأبقى الأب،العم و السيد إبراهيم و معي الله العظيم الجليل

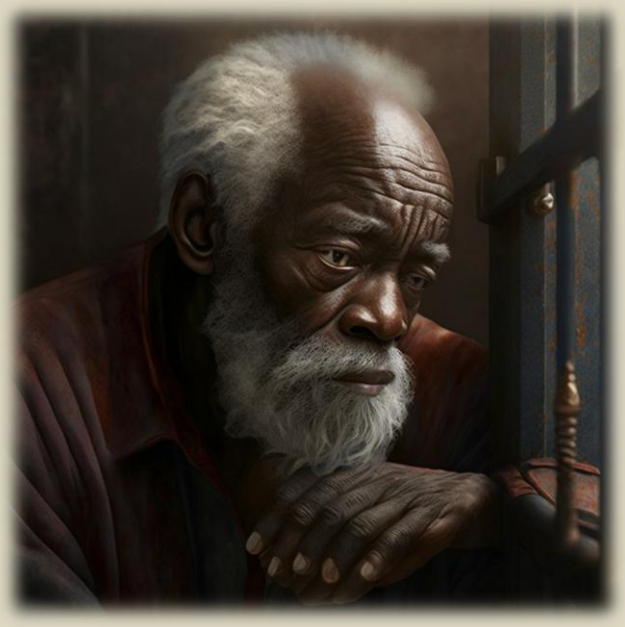

العم إبراهيم

العيب في العقول

لقد كان أسبوعا شاقا مليئ بالهموم الثقيلة، هموم تزداد في كل مرة أخطو فيها نحو مسار ضيق، بالرغم منأنني أعرف مقاسه و مقاسي الا أنني في كل مرة أختار أن أمشي فيه، فلا تهمني الوحوش التي تحاصر سفينتي، كل ما أعرفه أنهم سيكونون طعامي ليلا. حان الوقت للذهاب للسوق مع صديقتي خديجة. أحيانا أشعر بالغيرة حقا، لأن أكثر اسم بنات يعجبه عدنان هو خديجة، طبعا انها تشبهه في العديد من الأشياء كحب الفلسفة و الغوص في بحر الخيال، لكن أكيد هي صديقتي و أختي التي لم تلدها أمي.
وصلنا الى السوق حيث الأصوات تتعالى و الناس تتحدث من هنا و هناك. فهنا الرمان الذي يعشقه عدنان بشدة، كان أحمرا كأن الدماء تعاقدت معه في صفقة كانت مدة العقد للأبد. هنا التفاح مزين بألوانه الخضراء و الحمراء. فقالت خديجة :

- نور، هل تعلمين أنك اذا أكلت تفاحة كل يوم لمدة أسبوع فهذا يعني أنك أكلت سبعة تفاحات.
- واو يا خديجة، أحيانا تجعليني أعجز عن الكلام حقا.

فوقفنا عند بائع الموز لأشتري البعض فقال لي :

- هل تعلمين يا بنيتي ماهي أكثر دولة مصدرة للموز في العالم؟
- أكيد يا عمي، انها الدولة اللاتينية إكوادور. بها حقول واسعة و شاسعة تحتوي على كميات هامة من الموز.
- أحسنت، هكذا أريد أن أراكم يا أيها الجيل الصاعد، أن تعرفوا كل كبيرة و صغيرة. فحقا تعب أولئك الذين يشتغلون طويلا من أجل أن يرسلوا لنا هذا الموز اللذيذ. بما أنك أجبت صح فخذي هاتين الموزتين مجانا لك و لصديقتك.
- شكرا يا عمي. ليبارك الله في رزقك.

فواصلنا الرحلة في السوق الواسع و كثرت التصادمات و الاحتككات، الا تصادم واحد شد الناظرين و تركنا نشاهد بدون أي كلمة تنطق. رجل ذو ملابس متواضعة يبدو عليه الفقر

يصطدم برجل آخر بورجوازي، فتكلم الفقير و قال :" آسف على إحتكاك الكتفين، فكان علي أن أترك بيني و بينك حتى شبرين." فأجابه الغني:" الإعتذار واجب عليك يا أيها البائس، فحضورك بعث في سوقنا شعور تعيس، فما الذي جلبك الى هنا لأننا نبيع الغالي و لا نبيع الرخيص. انظر الى مظهري مظهر الملك و الأمير، خذ هذه الدراهم مني و اذهب و اشتري بها مرآة لرؤية قبحك يا فقير."
كانت كلمات موجعة الصراحة، فذهبنا الى جانبهما و تجمعت الناس من حولهما و سرعان ما بدأت باللوم على ذلك الغني و من تصرفه البشع، لكن البورجوازي هناك من يؤازره فكانوا كأنهم حراس له. فابتسم ذلك الفقير و صعد فوق طاولة موجها كلامه نحو الرجل الغني قائلا:

لا تبكين على رفض أناس لإعتذار الطير
فأنا الطير المهاجر من مسكن إلى مسكن
و لا تتشمتن بهذه الأناس بأن تواجه بلاء في القدر
فلن تستحي إلا اذا تلقت كلمات تجعلها تنحني

لا تغرنكم مظاهر الماشين فوق البساط دست عليه الحثالى
و لا ترفعن أصواتكم أمام باحثي رزق الله من باب الحلال
فمن أنتم؟ نعم من أنتم؟
أنتم من تربطون الحبل بالحزام
و نحن من نجرح الأيدي لتسلق الجبال
أنتم من تعشقون الطيران و نحن من نعبر الصحاري بالجمال
أولستم من تخشون الكد و التعب و نحن من نعمل حتى بعد الزوال
و ذكرهم بأن المظاهر تبقى مظاهر على الظاهر
فاذا كان الجمال يتبع الظاهر فإن القبح في المعظم بشع في الباطن
هل أعجبك طول و جمال جلد الأفعى فبقربك تفتح ثغرها و تلسع
و لا تتعلق بحجم الفيلة و هي واقفة، فإذا أخفتها تثور و تدعس
و اياك و جمال البحار فهي ترسل قروشا تجذب و تغدر
فيا سيد فكنت بائسا مثلما جاء في قولك لكن حالتي انتعشت
و خرجت تلك الفراشة من اليرقة بعد سبات
أتعلم أنك فوق أرضي، فهي أرضي وقتيا لأنها لله بعد الممات
فأنا الفلاح الذي أملك الخيرات
لكم كلب مدلل و لي أربعة يحرصونني من أربع جهات
و أكلاتكم معلبة و أكلي انزعه من التراب و النبات
و ماذا عن لباسكم ,لباسكم من الكيمياء يصنع و لباسي من صوف الشاة
فشكرا على الدراهم فسأحسبها سعر تجولك في أرضي الشاسعة
فمن فينا الآن الضيف في أسواقنا فلنا أبدو في محلي و انت من الكائنات البائسة.

نزلت دمعات ذلك الفقير كما كنا نظن من الأول أنه فقير لكنه يملك الخيرات، فهذا السوق ملكه، لكنه لا يبين هذا لأن التواضع كان رفيقا له في الأزل، فبدأت الناس تصفق و تهتف له في حين أن ذلك البورجوازي و رجاله سرعان ما رحلوا من المكان على الفور.
مشيت رفقة خديجة في تلك الطرقات متذكرة حبيبي عدنان و كلامه الحلو و العذب. فقالت خديجة :

- يا نور كفي تفكيرا في حبيبك و قلي لي، بما أنك تحبين الصغار كثيرا فكم من طفل تودين مستقبلا؟
- ما هذا يا خديجة ههه، حسنا بما اثنين.
- اثنين ممتاز، أولاد أو بنات؟
- ولد و بنت ربما ههه
- و الأسامي؟ لا تقولي لي عدنان ههه
- لا، فعدنان واحد و لا يتكر، لدي اسمان ربما غريبان قليلا، شوكو و فاني هههه.
- يا مجنونة تقصدين شكولاطة و فانيلا صح؟
- و هو كذلك يا صديقتي ههه.

المكالمة (2)

- أهلا
- أهلا فقط؟ عدنان؟
- نعم يا روح قلبي.
- مابك؟
- لا شيئ فقط أشعر بالإرهاق.
- نعم أعلم لكن قل لي ماذا حدث؟
- سأقول لك، لكن أرجوك لا تقلقي كل شيئ انتهى الآن.
- خيرا ان شاء الله، ماذا حدث؟
- حسنا الحكاية ما فيها أنني كنت مع نادر في حفلة رقص و بعدها مرت من أمامنا فتاة ابتسمت لنا، فحدث سوء تفاهم و قام نادر بشتمها عبر أبيات شعرية و نعتته بالأسود القبيح، و لسوء حظنا أنها ابنة الوزير فسرعان ما وجدنا أنفسنا في السجن. لكن بقينا يوم واحد فقط وأنا بخير فقط مازلت مصدوم قليلا من المشاهد التي رأيتها في السجن.
- نادر؟ ماذا؟ لكن انتظر، لا تقل لي أنك ابتسمت للفتاة أيضا؟
- نووور.
- أمزح حبيبي هههه، بصراحة الأمر يبدو صعبا للغاية. ماذا تعلمت من السجن؟
- تعلمت أن الحياة غدارة كالبحر، تخدعك بجمال مظهرها لكن ان دخلت الأعماق دون حذر فستجد كائنات تعرقلك و تأخذك معها الى الضياع. بالمناسبة قابلت رجلا يدعى بالعم ابراهيم.
- فهمتك.
- ماذا فهمت؟
- فهمت ما تعلمته من السجن يا أحمق هههه
- حسنا، قلي لي كيف حالك ؟
- الحمد لله بخير، كان أسبوعا شاقا، لكن أنا بخير. اشتقت لك
- شوقي لك يزداد كل لحظة يا روحي، كم أود أن أراك.

- لو تعلم كمية الحماس الذي بداخلي لأراك و أعنقك، أريد أن تأتي تلك اللحظة و أقول و أخيرا أنا بين أحضانك، عنقني بقوة.
- آه يا حبيبتي، الآن أستطيع أن أقول وداعا يا أيها السجن القبيح و مرحبا بي و بك في سجن الحب حيث المحبة مكافئتنا و الشوق عقابنا.
- شوقي لك هو تحفيز ذاتي بالنسبة لي.
- غايتي هي أن أكون بجانبك ,أنت تناسبين روحي و روحك تتطابق مع نفسي و نفسي تتطابق مع فكرك و فكري يتجول مع أخلاقك و أخلاقي تحترم جمالك و جمالي لا يعلو فوق حبك و حبي فداء لك و أنا عدنان و انت نور.
- أحبك ضعفين ما تحبني.
- حبي لك لا يقدر بالأوزان.
- المهم أني أحبك أكثر يا مشاغب هههه
- يا عنيدة أنت.
- ههه، طبعا يا عزيزي. أين تريد أن تذهب مخيلتنا لليوم؟ نرويج أو سويسرا؟
- لدي فكرة أفضل، ما رأيك لو كل واحد فينا يجسد عنصرا من عناصر الطبيعة و نتحدث باسمها لنرى من الأفضل؟
- و من سيحدد الأفضل بيننا؟
- لا أدري ربما أحد ما مستقبلا هههه، هيا تحديني يا مشاغبة، لن تهزميني في هذا.
- حسنا أقبل التحدي أكيد هههه
- ماذا ستختارين؟
- الشمس و المطر.
- ماذا تركت لي ههه، أنت تعرفين كم أحب المطر.
- لا يهمني، هيا أيها الخاسر اختر اثنان.
- حسنا حسنا سأختار الريح و البحر.
- جيد، كيف نسيت البحر هههه، من يبدأ أولا؟
- تفضلي البنات أولا.
- قل نور هي الأولى.
- هيا يا غيورة ههه.
- امتد وجهي و واجه نيران الماضي، فعاد رضيعا ناعما تنزلق منه الحشرات و الحيوانات الزاحفة، وجه ضحّاك يعبر عن الفرح بتلك الابتسامات يخجل الفم بأن يسميها بريئة. نيران المستقبل عندما يكون الوجه شحب و رافق أزمة الحضارات القديمة من البيزنطية و غيرها من الحضارات التي كانت ممتدة على الأمريكا اللاتينية. وجه يعشقه من يعشق المقرمشات و الأشياء القديمة العتيقة. نيران الحاضر استمدت قوتها من شمسنا العالية، شمسنا التي تعالت من الصباح و أشفقت على وجوهنا مساءا، شمسنا التي تنام كثيرا في الشتاء و ابتسامتها خفيفة في الربيع و حارقة الطبقات في الصيف. شمسنا التي تعطي حياة للكائنات، شمسنا التي تلقي خيوطها على البحر فيصبح مظهرا جذابا. مرة من الأيام دار حوار بين الشمس و السحاب فقالت الشمس :" أليس ما كان على الروح ضوء و هذا النور للجسد منير، الروح حية لندعها تسير." فأجاب السحاب:" الروح فعّالة لنسقيها بالمطر، ألا تبدو

مبتلة كمياه بين حجر؟" فقالت الشمس:" في قول ما تجرّه إلاّ صحته، فالحجة ثابتة لتبين مكانته." فقال السحاب:" و للكلام لون لا يختلف عن بقية الألوان، فيه الفرح و يخلو من الأحزان." فقالت الشمس:" أنا الشمس ألقي نوري على ما كان لها محتاج، فتارة أحيي روحا و تارة أكون مصدر إزعاج." دورك الآن حبيبي.

- نظفت أذني بعد صخابة الصّفير، و أي صفير بعثر ملفات أذني فلعلي الآن لن أسمع الكلمة الحسنة بأنها حسنة و لا الكلمة السيئة بأنها سيئة. ربما أتلقى الشتم فأضحك، و عند سماع الدعابات أنفجر غضبا. لا تلمني فهذه نتائج الرياح الصاخبة التي تركت صديقة الخد، الشعر و العنق تدخل عالم الأسى لفقدان وظيفتها، لا تحزني يا أذني فالرياح رفيقتنا و لا تقصد أن تؤذي أحدا صدقيني. بينما كانت الجيوش مسلحة جاء الريح و هبّ فيه و سلب منهم الدروع و السيوف و ظلوا ينتظرون وقتا آخر لإسترجاع قوتهم من جديد. لا تقلقي يا أيتها الأشجار فالريح لم تقصد شيئ فتلك السيوف انتهى أجلها و حان وقت تبديل الدروع و تزيين الجنود بأزياء تليق بالمحاربين. دورك الآن يا نور قلبي.
- كل قطرة منك تبعثر معدات الصوت الخاصة بأذني فأقول ماذا يحدث فتجيبني: قطرتي ضعيفة لكني مجموعة من القطرات أصبحت حرّة طليقة بعد أن كنت عبدا للسحب. أنا المطر اذا لم أكن مزعجا لكل من يظن أني مذكر و إذا لم أكن مزعجة لكل من يظن أني مؤنث، فماذا عساي أن أكون؟ بدأت الحكاية عندما كنت ذابلة أشتكي من الضعف الذي حلّ بجسدي، فكل من يمرّ من أمامي إلاّ و سخر من مظهري، لكنّي كنت صاحبة التفاؤل و كنت أعلم أن عنصرا سيقوّيني و فعلا دارت بي جيوش كنت أظنها ضارّة لكنها أتت من أجل أن تسقيني، أليست هذه الجيوش هي القطرات التي أتغذي منها؟ فعدت أخيرا تلك الزهرة التي تبعث عطورا يتمناها كل كائن بشري. عندما كنت عطشى و صغاري يتشكون أيضا، شكلي لا يُطاق، كرهته كل الجيران و الأصحاب، حينها أيت إليّ و بعثتِ في روحي روحا إضافية استطعت من خلالها أن أطعم صغاري و أبقيهم على قيد الحياة. هذا بفضلك يا مطر بعد الله سبحانه و تعالى. بينما كنّا هالكين في لهيب أكل صغارنا و نحن ثابتون غير قدرين على الحركة فأتيت بركة من الله و أطفأتِ نارا و أرسلتِ في قلوبنا انتعاشا و زرعتِ محبّة في قلوب كل من في غابتنا. فلمّا كانت هذه النّفس الضعيفة ساكنة و مهمشة في أركان الظلام تنتظر من يحلّ لها قيودها و تنتظر من يشحن عقلها بمعاني الحرية و الطلاقة. لمّا كانت حبيسة العطش في ذلك الحر الساخن، ففي كل قطعة في وسطها أحرّ منها إلى أن جاءت الميم و أعطت مرونة الأيام الحلوة، الطاء طوف نفس على نفسها حتّى وجدت معاني السعادة و البهجة لتخرجها و تنسيها الحزن و الأسى. فبقيت تلك الراء و هي الرصانة التي تأتي بعد تحول الشخصية من حالة ضعيفة الى الأقوى، لتبعث في السماء و تؤلف كلمة " المطر". دورك الآن يا عدناني.
- في لمحة بصري أرى مرآة السماء تنعكس على البحر. في صغري كم كنت أحمقا عندما خدعني لون البحر و كنت أظنه أزرقا، لون قلبي و لون العيون التي أحلم بها في صباحي و زوالي، عشيّتي و ليلي. آه يا بحر لماذا كنت متكبّرا على قدرات طفولتي. انظر إليّ الآن و حدّق لعيوني فإنّي أصبحت أتلاعب بحروف الجرّ في،ل. آه يا بحر أرأيت ذلك الفتى الذي ينتظرك لأشهر من أجل أن يتمتّع معك و تكون له

مصدر السعادة، لقد صار كهلا منشغلا بصعوبات الدنيا و عن أهداف أشرف على تحقيقها.آه يا بحر إني فتى أعشق لونك المزيّف و لا أعشق أن أكون لك مرافقا،عاشقا، ساهرا أو سامرا. يا بنيّ كم أعشق أن تناديني هكذا لأني رفيق اللوحة السابقة. قالوا للبحر لون ففهمت القصد، قلت أن السماء عكست ردائها. قالوا للبحر فوائد فقرأت الفهم، قلت أن هواء مارا بجوارها. قالوا للبحر من ذاته مصدر إلهام. قلت أني رفضت الرياح لإسكاتها. أليس القوم من قال أن الحر غدّار، فقلت يصح الكلام إلّا بحجة إثباتها. قالوا للبحر طعم صعب المذاق، قلت طعم الملح ليس في ذوقه بل إسكابها.

- ههه انتهينا، إذا من كان الأفضل؟
- الصراحة أنت أفضل حبيبيتي. فقط لدي ما أضيف ههه
- تفضل.
- في الموج نفع و عناء ، في التراب قبح و صفاء ،في المطر فرح و رثاء و في الشمس طيبة و دهاء .ألم نعلو فوقا حيث السحب تصارعنا؟ ألم نطفو يوما حيث الحمام يواجهنا ؟ ألم نزحف يوما حيث النمل يجرنا؟

و في الأرض نقاء و في النقاء ماء و الماء بارد فالبرد شتاء.
و في السماء ضيف ،طاف طوفا كالطيف ،صاح حرا في الحر كيف؟ أليس الحر من حرارة الصيف؟
الأوراق من أبناء الشجر و الشجر يحيا بالمطر و المطر انتظاره ضجر و الضجر رفيق الخطر. ألم نشتاق يوما للدموع و هي تهطل ؟ ألم نشتاق الى الأرواح و هي تتماطل؟ ألم نشتاق الى البساط و هي تجعل ؟تجعل القطرات طعما للشجر المتخاذل. اتخذ التخاذل من الخريف ،عرفنا الرياح في الخريف فودعنا النسيم اللطيف ،بلطفه كلطف الحريف.
أليس فصلنا هو الحريف ؟ الذي بعث نسيما طريف، بطرافته أصبح الحليف . حليف فصل حبيب ،زار كالسائل و المجيب ،أجاب كالمريض و الطبيب ،فربيعنا حلو و مصيب. نقلت عيني الى الربيع ،فحولت البيان الى البديع.
وو قفت انتظر أيام الشتاء أمامي و أنتظر أحلى أيامي و انتظرتها في أحلامي ،أحلام بانت في منامي ،بينت جود لحمي و عظامي و ختمت قولي بكلامي و الآن أ بلغ سلامي.

- بصراحة بعد هذا الكلام أنت تستحق الفوز يا حبيبي.
- شكرا على روحك العالية يا حبيبتي. آه كم أود أن أحلق و أراك، لكن تلك اللحظة إقتربت يا روحي، صديقتي، سأراك قريبا.
- إن شاء الله يا حياتي فأنا أنتظر ذلك اليوم بشدّة. و لا تنسى الشوكولاطة هههه.
- طبعا و منقوش عليها فراشة.
- ههه نعم أكيد.
- يا عمري لديّ قصيدة من أجلك كتبتها في السجن.سميتها رغم الستائر.
- هيا إن الشوق يزداد فيسرع قلبي ليكون أسرع من تلك السيارات الرياضية.
- رغم الستائر لكنّا سويا

القلب يطفو و العين هنيّة

و أين المنفذ و أين منهجي ؟
لرفع العشق و حفظ الوصيّة
يا نور الشوق ثقل على سرجي
لا الحمل و لا التعب أمام الروح الغنيّة
يا بدر السماء إظهر و إجلب فرجي
و لو أن الدهر عتم لأمست روحي وفيّة
و يا فتاة الحلوى إليك حججي
تطعَّميها فالرائحة من قلبي نقيّة
وعاد الشوق كالبركان يرتجي
حُرِق قلبي و النفس ضحيّة
كُشف تعبي و تبخّر حرجي
و جننت بين الصباح و العشيّة
أين العقل الذي خذله همجي؟
أخاف من الزمن أن يبعدك عليّ
و أين القلب الذي نزل مع مدرجي؟
تهت في مكاني فمازلت صبيّا
فرغم الستائر يا نور لكنّا سويّا
لكتبت لك ديوانا ضم ألف رويّا

- أنا سأصمت للحظات لأني لا أستطيع أن أجاري هذا الجمال و الدلال، أحبك عدنان. بإذن الله سوف يسقط الستار وسنكون سويا.
- إن شاء الله يا نور، إن شاء الله. أنت الروح الساكنة في قلبي و أنت الروح الحاضرة في عقلي.
- أنت شمس يوم التي تضويني و بدر ليلي الذي ينير طريقي.
- طريقنا واحد يا فراشتي.
- طبعا يا عدناني.

أسئلة

1) . عندما كان عدنان يرقص في الحفلة قال: *" شعرت حينها بشعورين، شعور السعادة الذي يأتي بصفة لاشعورية (...) و من جهة أخرى شعرت بالضيق لكني عجزت على تفسير هذا، هل لأنني غير معتاد على هذه الأجواء أم أن شيئ يحترق داخل جسمي."* حسب رأيك ما الذي كان يقصد بالشعور بالضيق؟
2) . ما رأيك في ردة فعل نادر عندما نعتته الفتاة بالأسود؟
3) . هل دخول عدنان و نادر يعتبر ظلما أم أنهما استحقا ذلك؟
4) . كيف ترى معاملة رئيس المركز لكل من عدنان و نادر؟
5) . ما رأيك في دور الطبيعة الذي ظهر على عدنان و نور في المكالمة؟ من كان الأدق وصفا؟

الجزء الثالث

رفيق الرّوح

المستقبل طويل عندما نتخيله و قصير عندما نصله، لكن السؤال الذي دوما يخطر ببالي هل أنا الآن أعيش في مستقبل القريب و في كل مرة أرفض هذا الواقع بأني في مستقبلي؟ أم أنني أؤجل لحظة وصولي إليه و أقول أني في الحاضر و المستقبل سيأتي؟ فلما لا يكون هذا الحاضر هو ذلك المستقبل الذي حلمت به؟ أما حاضري فأصبح من ماضي.
عموما لأركز على حاضري الآن حيث تنقلني قدماي نحو الجامع الكبير لأداء صلاة الجمعة. إنه سيد الأيام الجمعة و اليوم المفضل لي عكس يوم الإثنين و الذي أكرهه جدا. يوم الجمعة ليس كغيره من الأيام الأخرى. يوم الجمعة تخرج كل نفس و تهتف باسم الله و نبينا محمد صلى الله عليه و سلم .
إنها الخطبة الأسبوعية التي أنتظر بشوق لسماع درس جديد أثري به معرفتي و أتعرف أكثر على ديني و عقيدتي. الدرس الذي لا بد أن أهيئ فيه نفسي. أليس لقاء يوم الجمعة أفضل لقاء. الدرس الذي لا بد أن أطبقه في حياتي لتسير أفضل و أصلح به نفسي.
انتهت الخطبة و رفعنا تلك الأيادي إلى السماء من أجل الدعاء و التصق الجبين و الأنف بالأرض في لحظة السجود و رافق القلب الخشوع،أما العقل فظل حبيسا في التفكير، يفكر في يوم الآخرة و شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم
فلما انتهينا تصافحت مع من كانا بجانبي. على يميني رجل عمره قرابة نصف القرن و على يساري شاب مراهق. فلما نهضت تمسك بي ذلك الشاب و هو يبتسم و قال :

- ليكن يومك مباركا يا أخي، كيف هو الدرس اليوم؟
- مباركا على الجميع أخي. خطبة اليوم مهمة جدا لكل جيل صاعد أن يتعرف على الصداقة.
- فعلا الصداقة في وقتنا الحالي أصبحت صعبة يا أخي. قلي هل تملك أصدقاء؟

فذهبت مخيلتي الى تلك الشساعة حيث ينام فيها الشجعان و الأبطال لكني عدت الى صحوتي و قلت :

- نعم، أفضل صديقين في الحياة عيسى و نادر.
- من الجيد أنك تمتلك صديقين مثلهما.

- ماذا عنك يا أخي؟
- في الحقيقة أمتلك أصدقاء لكني أفتقد الى معنى الصداقة. ذلك المعنى هو الدواء في زمن انقطاع الأدوية، الصداقة التي تبنى على حفظ الأمانة و الثقة و ليست صداقة الحداثة التي تستحوذ عليها المصلحة و حب المال. فمن كان له مال أكثر يصبح هو الصديق المقرب. عادة ما أبحر في الكتب و المقالات التي تتحدث عن الصداقة و قمت بحفظ بعضها كمقولة ريتشارد باخ[20]: " *صديقك الحقيقي هو من يعرف ماهو شعورك في أول دقيقة عندما يلتقي بك علي النقيض من بعض الأشخاص الذين تعرفهم منذ سنين طويلة* " . و أيضا مقولة بنجامين فرانكلين[21]: *" الصديق هو من تخبره عن أخطائك قبل أن تعترف بها لنفسك*". لكن أفضل شيء أستحضره هو قصة علي و مصطفى لفاكر باب الله.
- هل تعرف فاكر؟
- طبعا أعرفه، بالرغم من أن كتاباته جميلة و فيها عبرة و خيال واسع إلا أنه مظلوم و لا يوجد العديد من الناس تعرفه.
- أظن أن العصر الذي يعيش فيه ظلمه فلو كان في زمن الكتاب لكان ينافس على جائزة نوبل. لكن حدثني عن هذه القصة فأنا لا أتذكر أني قرأتها سابقا.
- في مرة من الأيام كان هناك ولدان تجمعهم صداقة لا توصف فكانا معا في السراء و الضراء و كانا يرعيان الغنم في إحدى الضيعات. علي الخجول و كثير العطاء، و مصطفى المغرور لكن حنون في آن واحد. مرت الأيام و السنين و كبر الولدان و أصبح مصطفى رجل أعمال و مدير شركة فخمة و صاحب رأي مهم فيها، فيما ظل علي محافظا على عمله كراعي غنم لكن ليس كراعي بسيط بل أصبح يملك ضيعة كبرى و بقي يعيش في الريف. و في إحدى الأيام سمع علي بخبر زواج مصطفى فقرر الذهاب الى المدينة أين يسكن في قصر فخم . فقدم علي إلى القصر معه كبش كبير كهدية لمصطفى. فلما دخل علي لمحه مصطفى متعجبا و أقدم الى صديقه بسرعة و ظن علي أن الاستقبال سيكون حارا لكن مصطفى غضب و قال له:
ماذا تفعل يا علي هنا؟ و ماهذا الذي أراه ؟ فأجاب علي : " أنا هنا لحفل زفافك لقد سمعت أنك ستتزوج، فاخترت لك أفضل كبش عندي لأني أعرف أنك تحبهم جدا فهذه هدية مني لك يا صديقي." فصرخ مصطفى و قال :" أخرج عني هذا الكبش فقصري بلور ناصع لا أريد ادخال القمامة الى محلّي".
فظل علي محدقا في وجه مصطفى و أعطى بظهره لكنه التفت فجأة و ردد هذه الكلمات:

يا رفيق صغري جئت من بعيد لرؤية فرحة عمرك
جالبا معي تواضعي الذي لا سيما عشناه فوق الجبال
يا صديقي الحصان مازال منحنيا من ركوبنا عليه
مازال يتذكر تعب الأيام بحمله للأكلال
يا رفيقي أنسيت الوحل الذي رسم على وجوهنا؟

---

[20] **ريتشارد باخ)** بالانجليزية(Richard Bach : (و 1936 .م (هو ضابط، وروائي، وطيار، وكاتب، وفيلسوف، من الولايات المتحدة

[21] بنجامين فرانكلين) بالإنجليزية(Benjamin Franklin : (17 يناير 1706 – 17 أبريل 1790) هو أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة .كان موسوعيًا وكاتبًا وطابعًا وفيلسوفًا سياسيًا ومدير مكتب بريد وعالمًا ومخترعًا ورجل فكاهة وناشطًا مدنيًا ورجل دولة ودبلوماسيًا.

أم أن حياة الشركات غيرتك شرّ مآل
يا خليلي أتتذكر حليب الخرفان كيف يلمع فوق أفواهنا؟
أم أن الخمر الذي يسقيك الآن أبعدك عنه أميال؟
يا رفيقي لم أكن أظن أن هدايا ابن الريف يثير غضبك
فكنتَ من أشد معجبي اللحم فسبحان مغير الأحوال
يا مصطفى سأبقى علي حتى ان قطعوا لي أرجلي
فأنا الراعي التي ستبقى تتذكره عدة أجيال
يا مصطفى لا بأس بأن تغضب مني بعد سنين
هدفي كان صنع الطمأنينة و هدفك أن تصبح عبدا للمال
يا صديقي أنا راجع الى الريف حيث كبُرتُ و كبرتَ
فربما برجوع المتواضع سيعود لك الجَمال
اذا كنت من مفسدي حفلتك فسامحني لم أكن قاصد
فاذا غضبت مني احقر جسدي و اقطع خط الاتصال
الآن أقول لك الوداع و مبلوك عليك حياتك الجديدة
أصبحت في بركة الحرام بعد أن كنت معي في جنة الحلال

فبقي مصطفى منصدما من الكلمات الحساسة التي وجَّهَهَا علي بكل حزن فيما عاد هذا الأخير إلى أرضه أين يمكث. و مرت أسابيع و عندما كان علي يجمع البيض من دجاجته الذهبية إلى أن سمع صوت سيارة قادمة من ثم سمع هتافا عاليا "علي يا علي " فذهب مسرعا فوجده مصطفى. فكان مشهد تحول الطقس فبكل تأكيد علي كانت شخصيته جامعة بين الغضب و الحزن. فسرعان ما تقدم مصطفى و أعطى ظرف لصديقه من ثم ذهب. فبقي علي حائرا و متسائلا عما يحمل هذا الظرف، فلم يصبر طويلا حتى أراد فتحه لكنه تردد و وضع الظرف فوق الطاولة. مرت أشهر كثيرة حتى دار في عقله ما الذي كُتب وسط الظرف فقرر فتحه بعد تفكير عميق ووجد رسالة فيها هذه الكلمات":
السلام عليك يا رفيق صغري كيف حالك اليوم؟
هل مازال الرعد يقصف أم أن السماء عادت صافية؟
كم كنت أحمقا عما أطلقه لساني الطويل
ففعلا أحسست بالمر الذي حل بفمك بسبب كلماتي القاسية
السلام على روح كانت ترعاني في صغري و شبابي
ليست روح السماء بل هي في الأرض الكادحة و الراعية
يا علي كيف لي أن أنسى حصاننا السريع و المجتهد؟
فلست ناكرا فلست من الأجساد الناكرة و الناسية
يا علي الوحل مازالت بصماته على خدي المتورد
فأنا ثابت في أصلي و الشركات مجرد مباني عالية
يا علي الحليب فطري و مازال يجري في بطني
فصدقني لم أخرج عن ديني و الخمر أتركه للجارية
يا علي غضبي نتيجة الحيوانات من حولي
فمازلت من معجبي اللحم و روحك تبقى لي غالية

يا علي أعرف قيمتك عندي و عند الناس الذين بحولك
فهم كلاب و أنت الأسد بخصالك السامية
صدقني يا علي لم أنساك يوما و أنزعك من عيني
فكرهت الظغط و مللت من هذه الحياة الفانية
صدقني فأنا قبيح من دون رفيق بقيمتك
في حضورك أكون الوسيم و في غيابك مجرد عاهرة عارية
يا خليلي لا سيما كنا معا في الحفلات فلم تفسدها
لن أكون خائنا لكي أنساك و اتبع جيدا الكلمات التالية
وقعت في المرض و المرض أول المتحكمين بجسدي
و الله ما نمت الليل و كأن لحمي ينام فوق الطابية
لم أكن أعي بما أقول و ما افعله تجاه الآخرين
المرض من البلدان المتقدمة و أنا من البلدان النامية
بكل تأكيد أنا النامي في وسط المشهد المخيف
فروحي أصبحت مهددة بالخروج لأن المرض من الجنود الرامية
فيا خليلي ربما هي آخر مرة أراك فيها و أنا حي أرزق
فزرني في قبري و لن ألومك حتى إن قلت أن مصطفى من الكائنات الطاغية

فنزلت دمعة علي على الورقة حتى جعلت فيها ثقبا واسعا و خرج في ضيعته و يصرخ عاليا :" يا مصطفى يا مصطفى يا مصطفى." فعلم أن صديقه أبدا لم ينسى العشرة بل كان فقط مريض و معاملته معه لم تكن من إرادته. مرت تلك الأيام و تفرق الصديقان الذان كانا مربوطان بحبل كتب عليه الصداقة لتنتهي هنا بموت مصطفى بينما علي أصبح ذلك المجنون الذي يجري حافيا في المراعي.

- بصراحة قصة تخجل العين الغير الباكية على عدم تأثرها بها، جزاك الله خيرا يا أخي لقد استمتعت معك لكن علي الذهاب الآن، لأني سأسافر قريبا.
- جزاك الله خيرا أيضا يا أخ، ليحفظك الله في سفرك.
- شكرا، وداعا.

كنت أمشي في ذلك الشارع الواسع و كأني أودعه و أترك له الرسالة الختامية. الوداع يا أيتها الجدران، وداعا يا أيتها الأشجار، آسف لكني مقبل على حية مهنية و لا بد أن أودعكم.

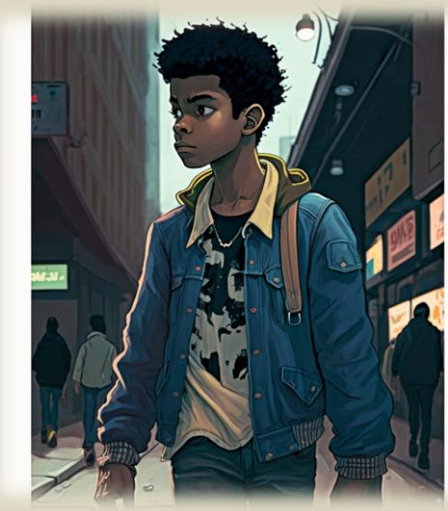

الأم الصالحة

كنت فارسة أتجول مع الخيول في الحقول فعدت للمنزل لأعود تلك الفتاة الصغيرة التي تبحث عن الأكل. وجدت أمي تشاهد التلفاز فجلبت تفاحة و جلست بجانبها فقالت لي:
يا صغيرة كفاك تفاحا فخدك أحمر بالفطرة هاها
فحينها تذكرت عدنان و كيف كان يصفني بذات الخد المورد فأجبتها:
أنا أحب التفاح يا أمي كم هو لذيذ .
كان الملل يضربني خاصة أني كنت عائدة من ساعات رجوب الخيل فلم يخطر في بالي إلا سؤال واحد فسألت أمي:

- أمي قلي لي كيف أكون أم صالحة ؟

فأجابتني:

- سهلة جدا يا بنيتي تتزوجين و تنجبين بنتا تسميها صالحة و هكذا تصبحين أم صالحة هاها.
- هيا أمي أتحدث بجد.
- حسنا يا بنيتي إن سؤال صعب نوعا لكنه ممتاز و في محله. إن الأم و الوالدين بصفة عامة قبل أن يكونا في وظيفة الأب و الأم فهما بالأساس مربيان، و التربية لا بد أن تبنى بأسس واضحة و دروس مكررة. لا يكفي إلقاء الدروس فقط بل يجب تطبيقها. لأن الطفل الصغير قد يتأثر بالكلام لكن لا بد من الإصرار على فعل ذلك الشيء. فمثلا إذا رآك صغيرك يوما آخر تأكلين التفاح كل يوم فأكيد سيطلب التفاح هو الآخر و يدمن عليه لأنه يقول في باطنه أن أمي تحب التفاح فلما لا أحبه. و مثلا إن رأى أباه يدخن فإنه سيكون فضوليا نحو معرفة ما التدخين و لن يعرف طبعا في لحظتها أنه مضر بالصحة فكل ما يعرفه هو أن أباه يدخن كل يوم فإذا إنه أمر طبيعي. إن التربية لا تتوقف بل تتواصل دوما من النقطة صفر إلى أجل غير مسمى. فلطالما الوالدين على قيد الحياة فهما سيبقيان يعطيان دراسا للأبناء. أين يبدأ الاختبار الحقيقي للطفل عندما يتزوج. لدي مثال عن هذا من خلال قصة للكاتب فاكر باب الله .
- لحظة يا أمي هل تعرفين فاكر ؟

- طبعا أكيد، و لماذا هذا السؤال؟ هل تظنينني مسنة حتى لا أقرأ كتب كاتب شاب ؟
- لا يا أمي طبعا هاها، هيا حدثيني عن هذه القصة.
- نعم طبعا.

في مرة من الأيام كان هناك إمرأة تحب ابنها محبة البخيل لنقوده. كانت تمثل شجرة العائلة بالنسبة له لأنه كان يتيم الأب و لا إخوة له. عائشة قصة أم مناضلة وقفت كالجندي أمام مصاعب الحياة من أجل ابنها الوحيد و كانت أمنيتها أن تراه ناجحا في دراسته و تكمل له نصف دينه. و فعلا أصبح فادي من المهندسين الكبار و كان رجلا تفتخر به أم كعائشة. و ليس هذا فقط بل تزوج من فتاة و أقام حفل زفاف يضرب به المثل و أصبح يعيش مع زوجته و معه أمه بكل تأكيد. بثينة و هي زوجة فادي تلك الحسناء و الفتاة التي ستتسلم مهمة الرعاية من عائشة و فعلا قامت بالواجب حتى سقط ذلك القناع و أصبحت شخصية غلب عليها الشر و كانت تبعث في زوجها طعنات خفية من أجل بعث أمه الى دار المسنين. و في إحدى الأيام اتفق فادي مع إحدى الدور و نقلها رسميا فكانت المسكينة تحمل دموعا لا شك أنها دموع الظلم و القهر. ففي البداية كان يزورها كل شهر فأصبحت كل شهرين شيئ فشيئا الى أن أصبحت مرة في العام. و كانت أمه تحذره من زوجته بأن لا أمان و لا ثقة فيها لكن رده كان قاسي دائما بالصراخ و أحيانا يصل حتى للضرب الى أن تتألم تلك الأم المسكينة و تبقى أسبوعا كاملا بلا نوم و هي تغرد كالأطفال. و في يوم من الأيام عاد فادي كالعادة الى منزله فوجد ملابسه ملقاة و مبعثرة في الحديقة فاستغرب و دخل راكضا فإذا بزوجته تطرده ممتصة كل أملاكه، فضاع قلبه و انحصر بكاء و جرى كالكلاب نحو دار المسنين. فلما وصل لم يجد أمه على السرير و وجد ورقة فوق الطاولة تحمل الكلمات التالية:

مات الأسد المقدام فظل رمزا و قدوة لكل نفس ضعيفة
و ظهر وراء الأسد خليفة و هو الشبل الصغير و اليتيم
لكن الأشبال مازالت تعاني نقصا من اكتمال النمو الكلي
فحضور اللبؤة سيرفع منه شأنا إلى أن يكون أسدا هجيم
يا فادي كم من عدو أعلن الحرب عليك لكني المرأة المدافعة
فظهري أصبح حقلا من الدماء فقط لأجعل شبلي سليم
يا فادي كم من مرة هبت رياح تتنزه مع الأمطار الحزينة ليلا
فكنت الدرع الذي يحيط بك فكنتَ آمنا و لا يصلك إلا هدوء النسيم
أنسيت عندما كان الكذب يهز روحك إلى أن تتلبسك صفة الكراهية
لكن روحي تحل محلك و أتظاهر كذبا فقط من أجل طهارتك و جعلك كريم
يا فادي أنسيت القطرة التي شربتها و معنا إلا ماء قليل في ذلك الحر
و حميت رأسك من شرائط الشمس فانصهر قلبي من نار الجحيم
ما ذنب اللبؤة عندما خرجت من بيت شبلها ذليلة تحت سيطرة الأسى
فالثعالة حلت مكانها بعد أن كانت له الأب و الأخ و الصديق الحميم
هل رضيت الآن بعد أن جعلتني بين الكبار أتجول و آكل طعام لا طعم له؟
فصدقني الثعالة ستجعلك لعبة بين يديها و ستصوب رصاصاتها في الصميم
لماذا يا بني بعتني إلى أناس يصرخون طوال الوقت في وجهي الشاحب؟

أجبني كيف حالك الأمس هل نمت جيدا؟ هل مازلت ذلك الإنسان النجيم؟
مات سمعي فتخيلت صياحك عندما كنتَ رضيعا، و ماتت عيني البصيرة
و سكنت رياح جسمي فثبت في مكاني أنتظر في الكلمة التي تبدأ بحرف الميم.

- كم هذا حزين حقا، عائشة امرأة صالحة لكن ابنها خانها. أتعرفين يا أمي مهما جعلتني الأيام بعيدة عنك فلن أنساك أبدا لأنك أمي مهما حدث
- يا حبيبتي تعالي إلي، لكن قبل كل شيئ انزعي التفاحة.

ذهبت الى غرفتي و فتحت كتاب مذكراتي و شرعت في الكتابة، و تذكرت حبيبي عدنان تذكرت كيف يصفني بالفراشة و الزهرة.

بين السماء و الأرض

دقت ساعة الشوق ففتحت تلك العيون و قفزتُ من مكاني من كثرة الحماس الذي سيطر على قلبي. أشعر بتلك الدغدغة، أشعر بكل معاني السعادة تصفع وجهي لكنها لا تؤذيني بل تدغدغني هي الأخرى. لن أحدثكم أكثر عن تفاصيل تجهيزي لنفسي لأني أصلا جاهز فقط سأقوم بارتداء ثيابي و حمل أغراضي و الآن مباشرة نحو المطار.
أخيرا جاء اليوم الذي سأطير و أحلق فيه، أخيرا جاءت اللحظة التي سأعلو فيها على الأرض و أكون محلقا فوقها و كأني سأودع المشي عليها للحظات، فيا أرجلي يمكنك أن ترتاحي قليلا .أخيرا سأكون مع فراشتي، أخيرا سأكون مع صغيرتي.
انصحكم بالصبر يا أصدقائي لأنه مفتاح كل شيء. الصبر و الأمل رفيقاي في هذا الدرب، كم صبرت على أن ارى نور عيني و كان لدي أمل كبير في هذا القلب الصغير بأن أراها، ألتقي بها و أحضنها كم كنت أقول دوما. هذا هو الحلم الذي سيصبح حقيقة.
ها أنا ذا أقلع لأول مرة في حياتي، أي شعور هو، أي طائرة تقوم برفعي، فالآن يمكنني أن أقول أني بين السماء و الأرض، فهذا اللغز الذي قابلته العديد من المرات في حياتي و كنت ألزم الصمت في كل مرة يمر بين شفتاي، فالآن أنا بين السماء و الأرض.
لم تدم تلك اللحظات طويلا فقد استهلكت الحماس و خاصة أني وصلت، لمجرد لمسي للأرض مرة أخرى صعد الحماس مرة أخرى و صار قلبي ينبض لدرجة أن تلك الديدان الساكنة في العشب تسمعه. و ها أنا ذا الوح إلى ذات التاء الصفراء الساطعة كأن الشمس قررت أن تشع في الأرض، نعم هي سيارة الأجرة. صعدت كالأمير،ذلك خليفة الملك واثقا من أنه سيكون خير خليفة. فسألني السائق:
إلى أين ؟
فأجبته : إلى طريق النور .
يا نور أنا قادم.

طال الإنتظار

فأخذتني خطواتي نحو نسيم البحر لكن فجأة هبّ نسيم آخير في عنقني و حجبت عيني من الخلف و كأن أحدا أراد أن يخطفني بالتأكيد ستكون أجمل عملية اختطاف تحدث في حياتي لو حدثت. فأبعد يده عن وجهي و التفت فرنّ منبه الهاتف و اتضح أنه حلم.
صحيح أني انزعجت في تلك اللحظة لكني كنت سأطير من الفرح لأن هذا الحلم سيكون حقيقة بعد ساعات. نعم حبيبي عدنان سيأتي، أعيد و أكررسيأتي سيأتي. أعلم أنه سبقني في هذا و قال لكم لكني أود تكرارها عدنان قادم الى نور.
هذا اليوم لم أتوقع حدوثه قريبا و بهذه السرعة. في الحقيقة كنت دوما بين التمني و الرغبة لكن حدوثه قلت سيكون بعد فترة طويلة جدا. أحمد الله على إقتراب هذه اللحظة.
يا إلاهي عدنان قادم، أتعرفون ما معنى هذا؟ و الله إن عدنان قادم. يا ترى هل هو متحمس مثلي هكذا أم أنه بارد؟ حسنا في الحقيقة عدنان بارد في العديد من المواقف لكن مع الحب أعرف أنه متشوق لحد الجنون. لعلّي يجب أن أخاف على نفسي، ربما يقوم بخطفي المجنون. أمزح طبعا.
متى يصل يا ترى هيا يا عدناني لقد نفذ صبري. متى ستلتقي تلك الفراشة الصغيرة بحبيبها؟ إن نور قلبك تنتظرك.
و فجأة رنّ هاتفي فإذا هو بعدنان يتصل بي فأجبته :" عدنان هل وصلت؟" فقال :" نعم يا فراشتي، أراك بعد قليل أمام البحر."
تلك الجملة خدرتني بالكامل حقا. أكاد لا أصدق أننا سنلتقي أمام البحر كما كنا نتخيل.

اللقاء

هل يمكننا الآن أن نقول أخيرا أن ذلك الحب سيعثر عن وجوده بعد أن كان حبيسا بين الأراضي؟ إن الحب اليوم سيتحرر و تلتقي عناصره أمام عنصر من عناصر الطبيعة.
اتجهت نور بكل شوقها و حماسها نحو ذلك البحر اللمّاع تنتظر توأم نفسها، تنتظر في الحب بعد طول الانتظار.
كانت تحدق في تلك السماء و كأنها تدعو و تطلب من الله أن يوصله سالما معافيا ليكون أمامها واقفا. و أخيرا جاء ذلك العدنان، عاشق الرمّان كما سمى نفسه، جاء من بعيد كأنه غلام تائه بين المحيطات و لا يعرف الطرقات. طبعا لا يمكنني أن أصف لكم نظرات نور إليه. كانت ثابتة و ساكنة في مكانها بعد أن لاحظت خطواته. ابتسمت فابتسم هو الآخر من بعيد. كان مشهدا حلوا مليئ بالحب، الحب الأزرق كما يسميه عدنان دوما.
كان يحدق في فراشته الصغيرة الى أن وصل أمامها. اقتربت الوجوه لبعضها البعض و ظل كل واحد منهما يركز في تفاصيل وجه الآخر.
كان الصمت هو سيد الموقف لكن القلوب هي التي تتحدث بلغة الحب لا يعرفها سوى العشاق، العاشق عدنان و الفراشة نور.
احمر خد نورمن الخجل لأنها بقيت تحدق في طويلا فحولت نظرها لتحت لكن عدنان سرعان ما رفعها وجهها لفوق بيديه و تلك كانت أول مرة يلمس فيها عدنان نور، فزاد خجل نور فقال عدنان حينها :

- جيوش قلبي أعلنت حربا عنيفة، تقرع فيها السيوف و تسيل فيها الدماء. ليست حرب النجوم بل هي حرب العواطف داخل بطون عمياء. في قلبي الآن قرية الحب بينت منذ مدة يعيش فيها عدنان و الفراشة .غايتي هي أن أكون بجانبك ,أنت تناسبين روحي و روحك تتطابق مع نفسي. نفسي تتطابق مع فكرك و فكري يتجول مع أخلاقك . أخلاقي تحترم جمالك و جمالي لا يعلو فوق حبك و حبي لك فداء لك و أنا عدنان و انت نور. لربما إن رآني أحد سينعتني بالمجنون و المغفل فحينها سأجيبه نعم أنا مجنون بفواشتي التي أنام على صوتها و كلامها أما صفة المغفل تركتها لك يا من نعتني فمن فينا المغفل الذي يعشق جسدا ليومين الى أن يأتي جسد آخر يعمي عيونك

و تذهب لذة الأولى و هكذا الى ان تصبح عبدا لغريزتك و تنسى أن العقل كان يحميك. يا نور هل أكمل الحديث عن هذا المغفل الذي نعتني هكذا ؟ حسنا سأتوقف أعلم أن قلبك رحيم و طيب لكن ان سمعت كلاما آخر لن أسكت في حق من شتمني و لمس خصلة واحدة منك يا فراشتي.

فنطقت نور حينها لأول مرة و قالت :"

- أتعلم يا عدنان بأنك نصف حقيقتي و نصف خيالي ,نصف عالق في قلبي و نصف عالق مع عقلي، نعم أنت يا عدناني نصف حقيقتي يلاحقني كل يوم و أتحدث معه و نصف خيالي الذي أود دائما تصوير ذلك الوجه في عقلي و لهذا قلت أنك عالقة في عقلي و النصف الذي قلبي هو روحك التي تحضر معي في دراستي و منامي و أين ما حللت. أكاد أهمس لقلبي و عقلي الآن و أقول لهما كفاكما لعبا معي و ارجعوني الى الواقع، فهذا حلم. أهذا أنت حقا عدنان؟

فقربت نور يديها الناعمة و لمست وجه عدنان لتكون هي المرة الأولى التي تلمس فيها حبيبها فشعر عدنان بتلك اليد الذي كان يصفها دوما بالرطبة و الناعمة.

فقال عدنان :"

- كنت في غابة ضائع وسط أشجار كثيفة لكني وجدت مقصا كبيرا عالقا بين الزهور فضحيت بذلك الجمال من أجل الخروج من هذا الرعب ,تمكنت من قص كل ما يواجهني من الأمام فوجدت بيتا فدخلته .وجدت وحوشا وجوههم ترعب فاندهشت و خفت منهم لكن نورا ساطعا جعلهم يذوبون كذلك الملح في الماء ,فخرج من ذلك النور فتاة طلبت منها يد الحب و العشق و معا نعلو باسم الشوس. بمجرد لمسك لي يا نور شعرت بهذا الحب فما بالك بعناق؟
- أأنت مستعد يا عدنان للعناق الذي لطالما كنا نتخيله في مكالماتنا؟
- مستعد يا فراشتي.

فاقتربت الأجساد لبعضها و التصقت و أعلنت العناق الأول بينهما رسميا، عناق لو قررت أن تفصلهما عن بعضهما البعض لبقيت سنين و أنت تحاول. فمن سيفكهما الآن؟ إنهما مقيدان بقيود العناق. فبينما كانا يعانقان بعضهما البعض، قال عدنان :"

- العين لروحك تشتاق، و الشوق احتضن مسمعي. السمع كتم عند الفراق و الفراق قيد محضني و الحضن نومه دافئ كنوم الطائر العابر. عبر في الأرجاء و شيع لروح الثعلب الماكر. تحيل على السباع متنكرا في زي الأسد الزائر...

فسكت عدنان للحظات و شعرت نور بثقل كبير فإذا بعدنان سقط أرضا لكنها مسكته بين أحضانها، فلم تصدق ما حدث فصرخت :"

- عدنان، عدنان ما بك؟ انهض حبيبي.

ففتح عدنان عينه و حدق في نور و ابتسم لها و نزلت دمعته على خده و قال :"

- آسف يا فراشتي.

فقال عدنان في نفسه :"

- و نظرت فوقي فهي بالسماء ترحب بي و الشمس تشيع لي و الغيوم الطفيفة تبستم لي و نور بجانبي فأدركت حينها أن هذه الروح لن تظل على الأرض بل ستعود الى خالقها.

و أغلقت عينيه، ودخلت نور في صدمة لم تتوقعها أبدا، ففورا اتصلت بالإسعاف و بدأت تصرخ المسكينة بصوت عالي حتى تجمع الناس من حولها يحاولون تهدئتها.
و أخيرا قدمت سيارة الإسعاف بعوائها و نقلت عدنان الى المستشفى.

و عند الوصول أدخل إلى بيت الإنعاش لأن حالته تبدو خطيرة و بقيت نور بالخارج لم تتقبل الأمر تفكر و تنتظر بشدة. لكن الانتظار لم يطل كثيرا هذه المرة مثل انتظار رؤية حبيبها. و خرج الطبيب فأسرعت إليه نور و قالت:" تكلم ما به ؟ أهو بخير ؟؟" فأجاب الدكتور:" لا أعرف مدى مكانته في قلبك لكن أرجو منك أن تسامحينا لأن الشاب فارق الحياة ، لديه مرض خطير انتشر في كامل أعضاء جسمه فغدره و قتله."
فأي حالة تبدو فيها نور المسكينة فحقا كل معاني الأسى و الحزن سقطت عليها في لحظة و بدأت الأمطار تتهاطل من عيونها و بدأت في الصراخ الشديد و الدكتور يحاول اسكاتها، فأغمي عليها هي الأخرى و نقلوها الى غرفة خاصة.
في هذه اللحظة أتمنى لو كان حلما، أتمنى أن يوقظني هاتفي أو توقظني أمي و تقول لي كفك و نوما و حلما لقد تأخرت على الدراسة. عدنان أخبرني أنك موجود، أرجوك يا عدنان إنه عناقنا الأول، مازلنا سنعانق بعضنا البعض كثيرا. هكذا رددت نور عندما استيقظت من غيبوبتها. فجاء الدكتور و أعطى لنور حقيبة عدنان و قال:" تفضلي يا ابنتي هذه حقيبته، و أيضا وجدنا هذه الورقة في جيبه." فأخذت نور تلك الحقيبة و أخرجت منها أغراض حبيبها و من بينهم علبة زرقاء مكتوب عليها : "نور عاشقة الخيول" ففتحت العلبة فوجدت قصطة شوكولاطة كبيرة مرسوم عليها فراشة. فبكت حينها بكاء شديد و أخذت تلك الورقة و فتحتها فوجدت فيها ما يلي":
أنا أعلم أنك ستغضبين مني لكني كنت أنتظر هذه اللحظة لكي أقول لك، و أقول لك بطرقتي.

استوت الأرض و أنبتت نباتات أشبه بالطفيلية
فظنت الأرض أنها ستكون وقتية و تنتزع بعد دهور
فسيطرت الخبائث تلك الأرض إلى أن استعمرتها
تبعثرت حالة الأرض بعد أن كانت صامدة لعصور
لا للتعجب عن الكلام لأنه مطابق لما حصل لكياني
بعد أن كنت نقيا،طاهرا أبعث من جسدي أجود العطور

لكني وقعت في المرض بعدما أن كان ضيفا خفيفا
فزاد الوزن فتكمش القلب و ضاقت الصدور
يا حبيبتي اعلم أني كنت أخبئ سر ليست من عاداتي
لكن اليوم موعد كشف الأسرار بهذه السطور
يا عزيزتي أنت تعلمين من يكون عدنان بالنسبة لك
الإنسان المجاهد في وطنه و في الحياة صبور
يا حبيبتي اليأس في طريق يشقّه الضعفاء هناك
و الأمل رفيقي في صغري فأنا الكائن الذي يستطيع العبور
يا فراشتي لقاؤنا قادم و بعدها سيكون عناقنا
سنمشي معا أمام البحر و بعدها نطفو كالطيور
و بعدها نكون معا لن يفرقنا شيئ
ننهض صباحا من الفراش و نعد معا الفطور
بعد الزفاف سيرزقنا الله بأولاد يعمرون بيتنا المكعب
يدورون حولنا مرة نلعب معا و مرة نشرع في العثور
يا حبيبتي لا اعلم متى تُقبض روحي و تعود إلى ربها
فسيكون عليك التعب بين البيت و التجول بين القبور
اسم عدنان سيبقى في قلبك أينما ذهبت و مشيت
فإذا غادرت الحياة اعلمي أني أحبك دائما يا نور

قرأت هذه الورقة و ظلت محدقة تتذكر ذلك العناق و بكت بكاء شديد تكاد عينها تبيض من شدة البكاء.
مات عدنان و ظلت نور تحاول أن تستوعب ما حدث سابقا، هي كانت تعرف مرضه الخيالي، لأن عدنان كان يعاني من خلل نفسي لاحظته نور جيدا.
عدنان كان يظن أن مرضه و حقيقة موت صديقه كلها أوهام و إنما كانت حقيقة. هو كان مريض بمرض عضال لكن قبل هذا المرض كان مريضا بالخيال. فالخيال كان يتلبسه لدرجة أصبح لا يفرق بين الحقيقة و الخيال. فالحقيقة هو وحده من دخل للسجن، لكن كان يتخيل صديقه نادر لأنه مات . نعم كما تسمعون و تقرؤون نادر مات من زمان ، عدنان قام بدمج الخيال بالواقع فدخل في دوامته و كان يتخيل صديقه أمامه.
حتى سبب خروجه من السجن كان بسبب هذا المرض و اتضح أنه يعاني من مشاكل عقلية جعلت الوزير يسامحه.
حسنا و الآن ركزوا معي في هذه النقطة لأنها معقدة قليلة لكنها مترابطة و هي أن العم إبراهيم هو أب عدنان نعم أبوه.
في اللحظة التي دخل فيها عدنان للسجن تلك لحظة سابقة و إبراهيم كان يمثل مستقبل عدنان. العم إبراهيم كان يعرف أن ابنه دخل للسجن لأنه في تلك اللحظة مازال لم يمت عدنان. عندما دخل إبراهيم للسجن تخيل ابنه و كأنه عادت به الذاكرة الى الوراء ليرى كيف كان ابنه يعيش في السجن فلهذا كان ينصحه.

فالمرض هو نفسه الذي حل بعدنان و إبراهيم. عدنان كان يمثل ماضي إبراهيم و إبراهيم يمثل مستقبل عدنان لأنهما الاثنين مريضان بالإيماجيوفوبيا التي جعلتهما يعيشان نفس للعالم لكن لأزمنة مختلفة. الاثنين عندما تلبسهما المرض، غرقا في الخيال و أصيبا بالظاهرة التي فسرها عدنان بالإيمجايوفوبيا .فهذه الأخيرة بجانب أنها مرض أو خوف فإنها العالم الذي يجمع المتخيلين فلهذا عدنان و أبوه إبراهيم دخلا مع بعض في لحظة الخيال و بدا كأنهما معا في مكان واحد. العم إبراهيم كان يتخيل دخول عدنان ابنه إلى السجن، فلهذا كان الجميع يتساءل عن سبب جنون العم إبراهيم، فكان يتحدث بمفرده طوال الوقت لأنه اشتاق إلى ابنه و زوجته.

ركزوا معي جيدا في هذه أيضا، عيسى صديق عدنان المفضل هو نفسه ابن جمال. عدنان كان يعرف مرضه جيدا لكن أحيانا ينسى نفسه أنه مريض و مع هذا قال لعيسى و عيسى كان أصلا يعرف أن عدنان مريض لأنه اطلع على الفحوصات التي يدلسها والده. فعندما مات عدنان، علم بعدها أن أباه كان يدلس فحوصات العم إبراهيم أيضا، من كثرة حبه لعدنان غضب من أبيه و تشاجر معه. و في اللحظة التي دخل فيها إلى المنزل و وجد العم ابراهيم يتشاجر مع أبيه حينها كان يقصد أن يطعن أبوه حقا و ليس كما روي في السجن أنه أخطأ. و عندما اتصل بالشرطة كان سيسلم نفسه لكن العم إبراهيم هو الذي أوقفه و ليس كما روي أنه ضرب العم إبراهيم على رأسه. فقرر العم إبراهيم أن يخبئ الحقيقة و يقول أنه من طعن جمال .لكن بعد سنوات استعرف ابن جمال و هو عيسى بقتل أبيه و خرج ابراهيم ببراءة بعد سنوات من الظلم .

كان العم إبراهيم يمشي إلى أن وصل الى قبر عدنان و وجد عند القبر نور، فرأته و قالت له:
-هل تعرفه ؟
-إنه ابني، و أنت هل تعرفينه؟
-أنت العم إبراهيم، اخجل أن أقول لك، لكنه كان حبيبي و رفيق دربي، و عندما حان الوقت لأراه و لأول مرة، مات بين أحضاني .
لم تتحمل نور أكثر و انفجرت بالبكاء و قامت بحضنه مباشرة، و قال إبراهيم:

- عدنان كان مهووسا بك لدرجة أني أحيانا أسمعه يهتف باسمك في نومه، نور نور، و كان مصرا بأن يذهب إلى مدينتك ليشتغل و أيضا ليتقرب منك. إني حقا أشم رائحة عدنان عليك.
- نفس الشيء إني أشمها عليك، فعلا كان دوما يود أن يأتي إلي و الآن أصبحت أنا آتي إليه، كل هذه سنوات آتي لهذه المقبرة لأسقي هذه الأرض بدموعي. مازلت أتذكر أول نظرة نظرها إلي، عناقنا الذي كان بمثابة عناق الترحيب و الوداع في آن واحد. و الآن يا عمي إبراهيم أتركك مع ابنك،فأنا ذاهبة.

مرت كل هذه السنوات و رائحة عدنان مازالت ترافق نور في دربها و ظلت حبيسة الأرض و الحزن مازال يعانقها، كانت تمشي و تتخيل عدنان يمشي بجانبها، فوقفت للحظة و نظرت الى السماء و رددت :

سماء يومي فقدت شمسها الساطع
فبقيت سحبي تدور و تمطر
أليست من عادات الأشجار استقبال غيثها
فو الله حرت فأشجاري بقيت ساكنة تنام و تحقر

يا عدنان كنت شمس نهاري و بدر ليلي
فاختفاؤك عكر طبيعتي و اختفى النظمُ
يا حبيبي نهاري أصبح ليلي و ليلي لم يعد يسمى باسمُ

فلا اشتياق يعلو فوق اشتياق الا اشتياقي
فأنت الأغلى في حياتي فروحك الأولى من ثم يأتي الباقي

يا عدنان أنت الحبيب و حبك لي أمثل
يا خليلي هجر حبك ترك قلبي فقيرا ظل يتسول
يا خليلي فراغ مكانك جعل جسدي يتطفل

كنت مطر يسقيني
و كنت ذهبا يغنيني
و كنت ماء يرويني
و كنت جمالا يغريني
و كنت درعا يحميني
و كنت مخفف الآلام لكل نار تكويني
و كنت الرفيق الذي يعنيني
فوجودك بجانبي يقويني

و الآن اين انت اين روحك اين جسدك
انت في دار الحق
و روحك عادت لخالقها
و جسدك تحت التراب يسكن
فالآن اكتفيت بالشعاع فيا حسرتاه
عندما كنت في دنياك كنا معا في الدوائر نقطن

سماء يومي فتحت شمسها الساطحة
فبقيت سحبي تدور و تمطر
أليست من عادات الأشجار استقبال غيثها
فو الله حرت فأشجاري بقيت ساكنة تنام و تحقر

حاولت نسيان حرف العين لكني لم أقدر ففكرت حينها باللحاق به إلى عالمه. و مازلت أصبر على فراقك فأنت في قلبي دوما لن أنساك.

الأسئلة

- كيف بدت لك نهاية القصة؟
- ما رأيك في تصرف عيسى؟
- عموما، من حسب رأيك كان حبه أقوى عدنان أو نور؟
- لقد علمت في الأخير أن العم إبراهيم هو أب عدنان، كيف كانت ردة فعلك؟ و هل شعرت سابقا أنه يمكن أن يكون أبوه؟
- لماذا حسب رأيك لم يخبر عدنان نور عن مرضه من الأول؟
- ما رأيك في قصة الحب التي جمعت بين عدنان و نور؟ و كيف يبدو لك الحب عن بعد؟ هل عشته سابقا؟
- أعطي عنوانا آخرا للرواية؟
- بشكل عام ما رأيك في هذه الرواية؟

كل الصور المستخدمة في هذه الرواية تم تصميمها عبر الذكاء الاصطناعي.

شكرا على القراءة

FIKOU